أحوال النفس

رسالة في النفس وبقائها ومعادها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل كل حمدٍ لن يكون إلا له ، ورغبةٍ لن تكون إلا إليه ، وتوكلٍ لن يكون إلا عليه ، وثقةٍ لن تكون إلا به ؛ وصلواته على خير خيرته من خلقه محمد وآله .

و بعد ؛ فهذه رسالة عَمِلتها باسم بعض الخُلَّص من الإخوان ، مشتملة على مُخِّ ما تؤدى إليه البراهين من حال النفس الإنسانية ، ولبابِ ما أوقف عليه البحث الشافى من أمر بقائها ، و إن انتقض المزاج ، وفسد البدن ؛ والاطلاع على النشأة الثانية والحالة المتأدية إليها فى العاقبة ، بأوجز قول ، وأشد اختصار . وما توفيقى إلا بالله .

ويلزمنى قبل الاندفاع فى الغرض المتقدم أن أصادر قبله بجمل من علم القوى النفسانية وأفعالها ، يكون تحققُها معيناً على تحقق ما ينساق إليه الكلام من الغاية القصوى .

فلذلك تنقسم هذه الرسالة إلى فصول :

---

(١) هذا كتاب مشتمل على أحوال النفس للشيخ الرئيس قدس سره ب ؛ هذه الرسالة فى علم النفس للشيخ الرئيس أبى على بن سينا رحمه الله هامش ب بقلم مختلف ؛ رسالة فى النفس وبقائها ومعادها ع ؛ رسالة الكبير فى حق النفس لرئيس العقلاء لابن سينا صاحب الشفاء روح الله روحه العزيز س .

(٢) لن يكون إلا له : أن يكون له ب ؛ يكون له ﻫ || لن تكون إلا إليه : أن تكون إليه ب ، ﻫ .

(٢،٣) لن يكون إلا عليه : أن يكون عليه ب ، ﻫ

|| الحمد ..... به : الحمد لله رب العالمين س (٣)لن تكون إلا به : أن تكون به ب،ﻫ. || خير : ساقطة من ﻫ || خلقه : الخلق ع || وآله : + قال الشيخ الرئيس رحمه الله ﻫ .

(٥) النفس : + الناطقة ع . || أوقف : وقف ع.

(٦)المتأدية : المؤدية ع ؛ المتأدى س

(٧) بالله : + تعالى ع .

(٨) المتقدم : المقدم ع ، س || قبله : عليه س

(٩) يكون تحققها معيناً : فإن تحققها معين ع .

(ا) الأول : فى تعريف حَدِّ النفس على سبيل الاختصار .

(ب) الثانى : فى تعريف القوى النفسانية على سبيل الاختصار .

(ح) الثالث : فى الدلالة على ما تختلف به أفاعيلُ القوى المُدْرِكة من النفس .

(ء) الرابع : فى الدلالة على أنَّ كلَّ ما كان من القوى مُدْرِكاً للصور وهى جزئية فليس يمكن أنْ يدركها إلا بآلة .

(هـ) الخامس : فى الدلالة على أنَّ ما كان من القوى مدركاً للصور وهى كلية فليس يمكن أن يكون إدراكها بآلة جسمانية ، ولا تكون تلك القوة قائمة بجسم .

(و) السادس : فى بيان أن النفس كيف ومتى تستعين بالبدن ، وكيف تستغنى عن البدن ، بل يضرها البدن .

(ز) السابع : فى تأكيد صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن والاستشهاد لتفردها بقوام الذات لتفردها بالعقل من غير مشاركة شىء من الآلات والإشارة إلى كيفية العلاقة بين النفس والبدن إن كانت غير منطبقة فيه ولا قائمة بوجه به .

(ح) الثامن : فى الدلالة على أنَّ النفس حادثة مع حدوث البدن .

(ط) التاسع : فى الدلالة على أن النفس لا تموت بموت البدن .

(ى) العاشر : فى الدلالة على أنَّ النفس لا تتعلق بعد موت البدن ببدن آخر .

---

(١) الترقيم الأبجدى عن نسخة ح،ه || على سبيل الاختصار : ساقطة من ب .
(٦) أن : ساقطة من س .
(١٠) يضرها : يضره س || البدن : للبدن ع .
(١١) والاستشهاد : والاستظهار س .
(١٢) لتفردها بالعقل . لتفرد العقل ع || بالعقل : بالفعل ه .
(١٥) حادثة : الإنسانية غير موجودة قبل البدن وأنها تحدث س || البدن : + لا غير س .
(١٦) الدلالة على : ساقطة من س || البدن : + وتكون باقية بعده كما كانت معه س .
(١٧) لا تتعلق ..... آخر : إذا فارقت بدنها لا تشتغل ببدنين بدن آخر ، وأن التناسخ محال س .

(ك) الحادى عشر : فى أنه كيف يجب أنْ يُعتقد أنَّ جميع القوى فى الإنسان لنفس واحدة على ما يراه أرسطوطاليس ، وكيف يُتصور ذلك حتى لا يَعْرِض الشك والشبهة التى تذكر .

(ل) الثانى عشر : فى أن العقل النظرى بالقوة كيف يخرج إلى الفعل ، وأى شىء يخرجه منها إليه ، وما ذلك الشىء ، وما محله من مراتب الموجودات .

(م) الثالث عشر : فى أنَّ النفس كيف تحصل لها النبوات فى حال اليقظة ، والأحلام الصادقة فى حال النوم ، ولأى قوة ، وعن أى مبدإ من المبادئ العالية .

(ن) الرابع عشر : فى الرتبة القصوى التى قد تبلغها النفس الإنسانية فى الدنيا من الشرف ، والمراتب التى بَعْدها المعدودة كلها فى زكاء النفس .

(س) الخامس عشر : فى الدلالة على الحال بعد مفارقة النفس البدن ، وتعديد أصناف السعادة والشقاوة لأصناف النفس .

(ع) السادس عشر : فى خاتمة الفصول والدلالة على محل هذه الرسالة .

(١ـ٢) فى الإنسان لنفس واحدة : من مبدإ واحد س .
(٥) منها إليه : وكيف يحدث مع حدوث البدن س .
(١١) بعدها المعدودة كلها : بعده المعدود كله س || فى : + جملة ه .
(١٣) البدن : للبدن س ، ه .
(١٤) النفس : الأنفس ع .

الفصل الأول

فى حد النفس

نقول : إنَّ القوى الفعّالةَ فى الأجسام بذاتها تنتهى بها القسمة إلى أقسام أربعة ؛ وذلك لأنها تنقسم بالقسمة الأولى إلى قوةٍ تفعلُ فعلَها فى الجسم بقصدٍ واختيار ، وقوةٍ تفعل فعلها بالذات ، وعلى سبيل التسخير ، لا بقصد واختيار .

والقوة التى تفعل فعلها فى الجسم بقصد واختيار تنقسم قسمة ذاتية أولية إلى قسمين : فإنها إمَّا أنْ تكونَ مُتَكثرةَ القصد والاختيار ، فيكون فعلُها فى الجسم حينئذ متكثرَ الجهة والمأخذ ، مختلفاً إمَّا بحسب تخالف العدم والملكة كالتحريك والتسكين؛ وإما بحسب تخالف الأضداد كالتحريك من أسفل إلى فوق ، والتحريك من فوق إلى أسفل ؛ وإمَّا أن تكون وَحْدَانية القصد والاختيار ، فيتبع ذلك أن يكون فعلُها وحدانىَّ الجهة والمأخذ .

والقوة التى تفعل فعلها بالذات ، وعلى سبيل التسخير ، من غير معرفة وإرادة ، فهى أيضاً تنقسم إلى قسمين : إمَّا أن تكون وحدانيةَ جهةِ الفعل ، كالقوة الفاعلة لحركة النار إلى فوق ، أو تكون متكثرة الفعل كالقوة الفاعلة لامتداد أعضاء الحيوان وأجزاء النبات فى الجهات المختلفة ، والمحركة للغذاء المتشابهة فيه إلى أطراف متقابلة . فجملة ذلك أربع .

وكل واحدة من هذه القوى جنسٌ يَعُم أنواعاً ؛ ولكن لكل واحد منها فى طبيعته اسمٌ يخصه.

---

(٢) فى حد النفس : فى تعريف حد النفس على سبيل الاختصار ع ، ﻫ ؛ العنوان ساقط من س .
(٧) متكثر : متكثرة ﻫ .
(١٠) ذلك : + والقوة ع .
(١٢) إلى : ساقطة من ع ، س ، ﻫ .
(١٤) فيه : منه ب || أربع : أربعة ﻫ .
(١٥) واحدة : ساقطة من ﻫ || أنواعاً : + كثيرة ﻫ || طبيعته : طبقته ﻫ

فالقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً أحدىَّ الجهة مخصوصةٌ باسم الطبيعة .

والقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً متكثر الجهة والنوع مخصوصةٌ باسم النفس النباتية .

والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار المختلف الموجب لاختلاف ما يقع عليها من الفعل مخصوصةٌ باسم النفس الحيوانية .

والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار الأحدى الجهة والنسبة مخصوصةٌ باسم النفس المَلَكية . ٥

وقد وجدنا هذه القوى الثلاث تشترك فى اسم النفس ، ولكن الثلاثة لا يعمها حدٌّ واحد للنفس ألبتة ، ولا بجهة من الجهات . وإنْ تعسف متعسفٌ فى التماس الحيلة لذلك لم يمكنه ذلك ؛ وإذا اغتر بمصادفتها يكون قد وقع فى استعمال اسم مشترك على أنه متواطئٌ ، ولا يشعر . وذلك لأنَّا إنْ أعطينا الثلاثة اسمَ النفس لأنها تفعل فعلاً مَّا فقط ، لزم من ذلك أن تكون كل قوة نفساً ، وأنْ يكون القوة والنفس اسمين مترادفيْن ، وهذا غير ما ١٠ عليه تواطؤ أصحاب الصناعة ، بل وأصحاب اللغة .

وإنْ أعطينا اسمَ النفس للقوة الفاعلة بالقصد ، وقع حدُّها على النفس الحيوانية والملكية ، وانفلتت منه النفس النباتية .

وإنْ أعطينا اسم النفس للقوة الفاعلة أفعالاً متقابلة ، وقع حدها على النفس الحيوانية

---

(١) فالقوة : والقوة ب .

(٥) الملكية : الفلكية س .

(٧) ولا : ساقطة من س || وإن : فإن ب .

(٨) يكون : فيكون ب .

(٩) إن : إذا ع || لأنها : + قوة هـ .

(١٠) القوة : للقوة ع .

(١١) تواطؤ : تواطأ هـ .

(١٢) للقوة : القوة س .

(١٣) والملكية : ساقطة من هـ || منه : عنه ب (١٣–١٤) وانفلتت..... الحيوانية : ساقطة من س

والنباتية ، وانفلتت النفس الملكية .

وإنْ زدنا على هذه المعانى شرطاً ازداد مفهومها تخصيصاً ، فلم يعم اثنين من القوى الثلاثة ألبتة ، بل انفرد بواحد . فيجب أن يكون هذا معتقداً معلوماً ومتصوراً : أنه إنْ استُعْمل لفظ النفس على معنى يعم النفس الحيوانية والنباتية ، فالنفس مقول عليهما وعلى النفس الملكية باشتراك الاسم . وإنْ استعملت على معنى يعم النفس الحيوانية والملكية ، فالنفس مقول عليها وعلى النفس النباتية باشتراك الاسم .

ولا يغتر الإنسان بما يجده من اختلاف حركات الأفلاك فى عروضها وأطوالها ، حتى يظن أنها أفعال متكثرة ، من شىء واحد فى شىء واحد ؛ كلا ، بل لكل واحد من تلك الأفاعيل فى نفسها وحدانية لا تتغير ، ولكل واحد منها موضوع آخر ، أو بعضها بالذات وبعضها بالعرض .

ثم لما كانت القوى إنما تُحَدُّ بأفاعيلها ، وكانت الأفاعيل الظاهرة للنفس إمَّا فى أجسامها ، وإمَّا بأجسامها ، لم يكن بُدٌّ من وقوع الأجسام فى حدودها . والشىء الواحد يقال له صورةٌ ، ويقال له قوةٌ ، ويقال له كمالٌ ، بالإضافة إلى معانٍ مختلفة . فيقال له قوة بالقياس إلى الفعل الصادر عنه ، أو الانفعال المتفرد به ؛ ويقال له صورة بالقياس إلى المادة ، لصيرورة المادة به قائمة بالفعل ذاتاً بسيطة ؛ ويقال له كمال بالقياس إلى النوع

---

(١) والنباتية : والملكية ع || الملكية : النباتية ع .

(٢) زدنا : زدت س || تخصيصاً : تخصصاً ع .

(٣) الثلاثة : ساقطة من ﻫ || معلوماً : ومعلوماً ع .

(٤) لفظ : لفظة ﻫ || عليها : عليه س (٤، ٥) وعلى النفس الملكية : ساقطة من ب (٥) يعم : ساقطة من ﻫ .

(٥، ٦) وإن ..... الاسم : ساقطة من ب

(٨) من : ومن ب || واحد فى شىء واحد : واحد فى شىء ب ؛ فى شىء واحد ع .

(٩) آخر أو : أجزاء ع .

(١٢) وإما بأجسامها : ساقطة من س || الأجسام : الأقسام س

أوالجنس ، لصيرورة الجنس به قائماً بالفعل نوعاً مركباً . وفرقٌ بين المادة و بين الجنس ، وفرقٌ أيضاً بين البسيط و بين المركب .

فالنفس قوةٌ بالقياس إلى فعلها ؛ وصورةٌ بالقياس إلى المادة المتزجة ، إن كانت نفساً منطبعة فى المادة ؛ وكمالٌ بالقياس إلى النوع الحيوانى أو الإنسانى . ودلالة الكمال ـ بالمفهوم الخاص بالكمال ـ أتم من دلالتى اللفظتين الأخريين على مفهومهما ؛ وأيضاً مفهوم الكمال أعم من مفهوم الصورة .

أما أنه أتم ، فلأن الكمالَ قياسٌ إلى المعنى الذى هو أقرب من طبيعة الشىء وهو النوع ، لا إلى الشىء الذى هو أبعد من ذلك وهو المادة . فإن مادة طبيعة الإنسان أولى فى هذا الأمر من مادة الإنسان ، فإنَّ مادةَ الإنسان هى بالقوة إنسان ، وجزء من طبيعة الإنسان ؛ والإنسان هو بالفعل إنسان ، فالنسبة إلى الإنسان أتمُّ دلالة من النسبة إلى مادة الإنسان . على أنَّ الدلالة على المادة مضمونة فى الدلالة على الإنسان من غير عكس ، والكمال هناك الدلالة على أنه صورة للمادة ، كما أنه كمال للنوع .

وأما أنه أعم ، فلأن من الكمالات ما ليست كمالات بحسب الصورة للمادة ، فإنَّ الرُّبَّان كمالٌ للسفينة التى به تصير السفينة بالفعل سفينة ؛ فإنه يُشْبه أنْ لا تكون السفينةُ تامةَ النوع أو تُحْصَرَ جميع الأسباب التى بها يتم فعلها . وأيضاً الملك كمال المدينة ،

---

(١) أو الجنس : والجنس ع .
(٣) المتزجة إن : المازجة إذا ع || إن : إذ هـ .
(٤) أو الإنسانى : والإنسانى ب .
(٥) مفهومهما : + يعنى الصورة والقوة ع ؛ + فى الصورة والقوة هـ .
(٨) مادة : ساقطة من هـ .
(٩) هى : هو ب .
(١٠) فالنسبة : والنسبة ع .
(١٥) النوع أو تحصر : للنوع أو لحصر ن || تحصر : تحضر ب .

وعلى ذلك الشرط له ؛ ولأنّا إنما نعنى بالمدينة ما اجتمع على الهيئة الصالحة للغرض الواقع فى الشركة بوجود جميع أجزائها وأولها الملك ، فإنْ سمينا كلّ محل اجتماع فى المساكن مدينةً فباشتراك الاسم ، كما أنّا إنما نسمى باليد والرأس ما كان بحيث يصدر عنه فعلُه الخاص به ، ويؤدى إلى الغرض الذى هو لأجله . وأمّا اليد المقطوعة والشلاء فإنّا إنما نسميها يداً باشتراك الاسم ؛ وكذلك الميت نسميه إنساناً باشتراك الاسم .

فبيّنٌ إذن أنّ المفهوم من الكمال ، وهو الشىء الذى بوجوده تتم طبيعة جنسٍ نوعاً ، أعم من موضوع الصورة . وهو أيضاً أعم من مفهوم القوة الفعّالة فى ذلك الجسم ؛ فإنه ليس كلُّ ما يكمل به نوعٌ مّا فهذا شأنه ، بل ربما كان كمالاً انفعالياً ، أو غير فاعل ، مثل صقالة جِرْم القمر ، ومثل القوى التى فى الحيوان ، مما تُدْرِك ولا تحرك شيئا . وأما أنه أتم من المفهوم عن القوة فأمرٌ لا شك فيه .

فنقول الآن : إنه يجب أنْ يُؤخذ البدن فى حدّ النفس ، وأنْ يُجْعَل الشىء المأخوذ فى حدها كالجنس كمالا . أمّا أنه يجب أنْ يُؤْخذ البدن فى حدّ النفس ، فلأنّ هذا الجوهر الذى يقع عليه اسم النفس ؛ وإنْ كان يجوز فيه أو فى نوع منه أن يتبرأ عن البدن ويفارقه ، فتكون حينئذ المواصلة التى بينه وبين البدن منقطعةً زائلة .

---

(١) وعلى : على س || ولأنا : ولأنه ب || الواقع : المقصود هـ

(٢) فإن : وإن ح || محل : ساقطة من ح ، س ، هـ .

(٣) أنا : أنك ح || إنما : ساقطة من ح ، س ، هـ .

(٤) وأما اليد : فأما ب،س،هـ || إنما : ساقطة من ب،س.

(٦) طبيعة : من طبيعة كل ح .

(٧) موضوع : مفهوم ح .

(١٠) شك : يشك س .

(١١ ــ ١٢) وأن ..... حد النفس : ساقطة من س .

والشيء الغير الذاتى لا يؤخذ فى حد الشيء ، فإناً لسنا نسميه نفساً ، وندل به على جوهره مطلقاً ، بل نسميه نفساً ونحن نأخذ جوهره مع نسبةٍ مّا .

وقد يكون للشيء فى نفسه وجوهره اسمٌ يخصه ، وله اسمٌ آخر من جهة ماهو مضاف ، مثل : الصديق ، والمتمكن ، والمنفعل ، وغير ذلك . وقد يكون لا اسم له من جهة جوهره ، ولكن لجوهره من جهة القياس إلى شيء عَرَض له بالقياس إليه اسمٌ ، مثل : ذنب السفينة، والرأس ، واليد ، والجَنَاح ، والسُكَّان . فإذا أردنا أنْ نعطيها حدودها من جهة الأسماء التى لها بما هى مضافة ، أخذنا تلك الأشياء الخارجة عن جواهرها فى حدودها ، وإنْ لم تكن ذاتية لها فى جواهرها ، أو كانت ذاتية لها بحسب الأسماء التى لها تلك الحدود ؛ وإنْ كان جوهرُ كلِّ واحد منها فى ذاته قد يجوز أنْ تنفصل عنه تلك العلاقة ، ويكون حدُّه الذى يخصه شيئاً آخر .

والنفس فإنما نسميها نفساً من جهة وجودها فعالةً فى جسم من الأجسام فعلا من الأفاعيل . فأمّا بحسب جوهره الذى يخصه ، والذى يفارق به ، فلا نسميه نفساً إلا باشتراك الاسم والمجاز . والأشبه أن يكون اسمُه الخاص به حينئذ العقلَ لا النفس . ولهذا سمّتْ الأوائل ما كان من المبادئ غير الجسمانية محركا لفلكٍ مّا على أنه يحاول التحريك بذاته

(٣) وجوهره : وفى جوهره س .

(٥) ولكن لجوهره : وليكن بجوهره س || من جهة القياس : بالقياس ب || بالقياس : القياس ع ، س ، ه || ذنب السفينة : ساقطة من ب ، ع ، ه .

(٧) لها : ساقطة من ع || بما : مما ب ، ع ، ه .

(٨) ذاتية : دائمة س .

(٩) عنه : منه س .

(١١) والنفس فإنما : فالنفس إنما س ، ه .

(١٣) الاسم : ساقطة من س || اسمه : ساقطة من س .

(١٤) غير : الغير ب ، ع || يحاول : محاول س .

كالعلة الفاعلية نفساً ؛ وسَمّوا المحركاتِ المباينةَ للحركة ، وإنما تحرك كالمعشوق ، والعلةَ التمامية ، عقلا . وجمعوا عدة المحركات المفارقة جملةً وسموها عقلَ الكل ، وعدةَ المحركات الواصلة المحاولة للتحريك جملةً وسموها نفس الكل ، فإنّ الكلَّ هى السموات .

وأما الأربعة الأسطقسات وما فيها فهى جزء من الكل لا يعتد به لقلته ، فلذلك كانوا يقولون : إنّ الكلَّ حىٌّ كحىٍّ واحدٍ ، وله نفس عاقلة ، ولنفسه العاقلة شىء كالعقل الفعّال لنا . وما كانوا يلتفتون إلى القدر القافه المائت من الكل ، حتى يمتنعوا لأجله عن إطلاق القول بأن الكل حىٌّ . فعسى فى أبداننا من المائت ما نسبته إلى أبداننا مُعْتَدٌّ به .

ومع ذلك فقد نطلق القول بأنّ كلَّ البدن حىٌّ . ولكنهم كما خصوا باسم النفس فى الكل ما كان مزاولا للتحريك لا متبرئاً عنه أصلاً ، وباسم العقل ما كان متبرئَ الذات عن الحركة والعلاقة مع الموضوع أصلا ، فكذلك يجب أن يقال فى الأنفس الجزئية إنّ اسمَ النفس يقع عليها باعتبار نسبته لها إلى الجسم . فإذا كان هذا هكذا فيجب أن يؤخذَ البدنُ فى حد النفس ، ويجب أن يوضع الجنسُ الكمالَ دون الصورة والقوة . وذلك

---

(١) كالمعشوق : بالمعشوق ع || والعلة : وسموا العلة ع (١ ــ ٢) والعلة التمامية : والتمامية ﻫ .
(٢) عدة : هذه س || وسموها : + باسم ﻫ || عقل ..... المحركات : ساقطة من س .
(٣) الواصلة ..... وسموها : ساقطة من س || فإن : كأن ع ، س ، ﻫ .
(٤) فيها : فيه س .
(٦) القدر : المقدار ﻫ .
(٧) معتد : يعتد ع || به : بها ع ، س .
(٨) كل : كلية ب || البدن : القدر ع || كما : ساقطة من س .
(١٠) فكذلك : فلذلك س .
(١١) نسبته : نسبة ﻫ || فإذا : وإذا ب .
(١٢) الكمال : للكمال ع .

لأنه ليس كلُّ ما هو نفس هو صورة للبدن ، فإنَّ النفسَ الناطقةَ سيظهر من حالها أنَّ قِوامها ليس بأنْ تنطبع فى مادة البدن ؛ فإذا قيل لها صورةٌ ، فذلك باشتراك الاسم .

وأيضاً فإنَّ النفسَ يُقال لها — وهى نفسٌ فى بدن — قوةٌ بالقياس إلى التحريك ، وبالقياس إلى الإدراك . فإذا قيل لها قوة بالقياس إلى التحريك كانت بمعنى القوة الفاعلة ؛ وبالقياس إلى الإدراك كانت لا بهذا المعنى بل بمعنى القوة الانفعالية ؛ فيكون وقوع اسم القوة عليها من الجهتين بالاشتراك . وإن اقتصر على كونها قوة بأحد المعنيين ، كان ما وضع جنساً لها مقولا عليها من جهة واحدة من جهات وجودها وهى نفس فى البدن .

وقد تبيَّن فى طوبيقا أنَّ الجنس يجب أن يُحمل مطلقاً على الشىء ، ومن كل جهاته لا من جهة واحدة ، وخصوصاً على رأى من يرى أنَّ النفس ليست ذاتا واحدة ، بل أنفساً ، فتكون القوة المدركة عنده نفساً وليست قوةً بمعنى الفاعلة ، والمحركة نفساً وليست قوة بمعنى المنفعلة .

فيجب إذن أن نضع الكمالَ كالجنس للنفس ونقول : إنه كمال للجسم . لكن الكمال للجسم قد يكون مبدأ ، وقد يكون بعد المبدإ ، فإنَّ الإحساس والتحريك أيضاً كمالٌ للنوع الحيوانى . وأمَّا النفس فهى مبدأ لهذا ، فلذلك نقول : إنَّ النفسَ كمالٌ أول

---

(١) هو صورة : فهو صورة هـ || فإن : وإن ح ، هـ .

(٤) فإذا ..... التحريك : ساقطة من س .

(٥) بهذا : لهذا ع || وقوع : ساقطة من هـ .

(٦) الجهتين : الخمس هـ || وإن : فإن ح .

(٧) جهات : جهة ب (٧ — ٨) من جهة ..... طوبيقا : ساقطة من س (٨) ومن : من ح .

(١٠) الفاعلة : الفاعلية ب .

(١٢) إذن : ساقطة من ب ، ح .

(١٤) للنوع : النوع ح || لهذا : لها ع || فلذلك : ولذلك ح ، س .

للجسم . ولأنّ الكمالات الأولية للأجسام الطبيعية تختلف بحسب اختلاف الأجسام الطبيعية ، وبحسب نوعيات الأجسام الطبيعية . ثم النفس التي نحن في تحديدها — وهي الأرضية — هي كمالٌ لنوع من الأجسام الطبيعية ، فتعين على ما يصدر عنه من الفعل الذي صدروه عنه بآلات فيه ، فتكون النفس كمالا أولا لجسم طبيعي آليّ ، أو لجسم ذي حياة بالقوة ، أي من شأنه أن يحيا بالنشوء ويبقى بالغذاء ؛ وإنما يحيا بإحساس وتحريك هما في قوته .

فهذا هو حد النفس .

---

(١) للجسم : لجسم س || للأجسام : الأجسام ب || اختلاف : ساقطة من ح ، س ، هـ .
(٣) لنوع : النوع ح ، س || على : ساقطة من ب ، س || عنه : عنها هـ .
(٤) صدوره : صدر ح || حياة : صورة س .
(٥) وإنما : وربما ب ، س || وتحريك : وبحركة هـ .
(٧) فهذا : وهذا ح .

الفصل الثانى

فى تعريف القوى النفسانية على سبيل الاختصار

القوى النفسانية تنقسم بالقسمة الأولى أقساماً جنسية ثلاثة : أحدها النفس النباتية وهى الكمال الأول لجسم طبيعى آلىّ من جهة ما يتولد وينمو ويغتذى ؛ والغذاء جسم من شأنه أنْ يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل إنه غذاؤه ، ويزيد فيه مقدار ما يتحلل منه ، أو أكثر أو أقل . والثانى النفس الحيوانية ، وهى الكمال الأول لجسم طبيعى آلىّ من جهة ما هو يُدْرك الجزئيات ، ويتحرك بالإرادة . والثالث النفس الإنسانية ، وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الأفاعيل الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية .

وللنفس النباتية قوى ثلاث : القوة الغاذية ، وهى قوةٌ تحيل جسما آخر إلى مشاكلة الجسم الذى هى فيه ، فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه .

(٢) فى ..... الاختصار : فى قواها ب ؛ العنوان ساقط من س .

(٣) هنا ابتداء الموجود فى النجاة الطبعة الأولى صفحة ٢٥٨ ، وفى الشفاء صفحة ٣٨٩ || القوى .... ثلاثة : والنفس كجنس تنقسم بضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام ده .

(٤) جهة : جملة ع || وينمو : ويربو ع ، ده ، هـ .

(٥) قيل إنه : قيل عنه هـ || ويزيد : ليزيد هـ || يتحلل : ينحل س ، هـ .

(٧) بالإرادة : بإرادة .

(١١) به : ساقطة من ع || بدل ما : وما هـ .

والقوة المُنمِّية ، وهو قوة تزيد فى الجسم الذى هى فيه بالجسم المتشبه به زيادة مناسبة فى أقطاره طولا وعرضاً وعمقاً ، لتبلغ به كماله فى النشوء .

والقوة المولدة ، وهى القوة التى تأخذ من الجسم الذى هى فيه جزءًا هو شبهه بالقوة ، فتفعل فيه باستمداد أجسام أخرى تتشبه به من التخليق والتمزيج ما يصير شبيهاً به بالفعل .

وللنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان : مُحرِّكة ومُدْرِكة .

والمحركة على قسمين : إمّا محركة بأنها باعثة ، وإما محركة بانها فاعلة .

والمحركة على أنها باعثة هى القوة النزوعية الشوقية ، وهى القوة التى إذا ارتسمت فى التخيل ـ الذى سنذكره بعد ـ صورة مطلوبة أو مهروب عنها ، حملت القوة التى تذكرها إلى التحريك . ولها شعبتان : شعبة تسمى قوة شهوانية ، وهى قوة تبعث على تحريكٍ يقرب به من الأشياء المتخيلة ، ضرورية أو نافعةٌ ، طلباً للذة ؛ وشعبة تسمى قوة غضبية ، وهى قوة تبعث على تحريكٍ يدفع به الشىء المتخيل ، ضاراً أو مفسداً ، طلباً للغلبة .

وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهى قوة تنبعث فى الأعصاب والعضلات ، من شأنها أن تشنج العضلات ، فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدإ ،

(١) المنمية : النامية س || هى : هو ع .
(٢) وعمقاً : + مناسبة بقدر الواجب س || كماله : كمال كماله ع .
(٣) وهى القوة : ساقطة من ب || شبهه : شبيه به س ؛ شبيه له ده ، هـ .
(٤) فتفعل : فتعمل هـ || فيه : ساقطة من ب || التخليق : التخلق ده .
(٧) الشوقية : والشوقية ده || ارتسمت : ارتسم س ، ده ، هـ
(٨) بعد : ساقطة من س .
(٩) تبعث : تنبعث هـ .
(١٠) ضرورية : ضارة ع .
(١١) تبعث : تنبعث هـ || الغلبة : + والانتقام ع .
(١٢) القوة : ساقطة من ب .
(١٣) بالأعضاء : بالأعصاب ع ، هـ .

أو ترخيها أو تمددها طولاً ، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة المبدإ .

وأما القوة المدركة من خارج فهى الحواس الخمسة أو الثمانية . فمنها البصر ، وهى قوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك صورةَ ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية فى الأجسام المشفة بالفعل إلى سطوح الأجسام الصقيلة .

ومنها السمع ، وهى قوة مرتبة فى العصب المفرق فى سطح الصماخ ، تدرك صورة ما يتأدى إليه بتموّج الهواء المنضغط بين قارعٍ ومقروعٍ مقاومٍ له انضغاطاً بعنف يحدث منه صوتٌ ، فيتأدى متموجاً إلى الهواء المحصور الراكد فى تجويف الصماخ ، ويحركه بشكل حركته ، وتماس أمواج تلك الحركة تلك العصبة .

ومنها الشم ، وهى قوة مرتبة فى زائدتى مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى ، تدرك ما يؤدى إليه الهواء المستنشق من الرائحة المخالطة له بالبخار ، أو المنطبعة فيه بالاستحالة ، من جرمٍ ذى رائحة .

ومنها الذوق ، وهى قوة مرتبة فى العصب المفروش على جرم اللسان ، تدرك الطعوم المتحللة من الأجرام الماسة له ، المخالطة للرطوبة العذبة التى فيه فتحيله .

(١) أو ترخيها أو تمددها طولا : ساقطة من ب ، ح ؛ أو تمددها طولا : ساقطة من هـ .
(٢) المدركة : + فتنقسم قسمين قوة تدرك من خارج ومنهـا قوة تدرك من باطن والمدركة هـ || الخمسة : الخمس ب ، ح || الثمانية : كونها ثمانية بناء على أن اللمس جنس شامل لأربع هامش ب .
(٤) المشفة : الشفافة س ، ده .
(٥) المفرق : المتفرق س ، هـ ؛ المفترق ده .
(٦) بتموج : من تموج ح .
(٨) العصبة : + فيدمع س .
(١٠) إليه الهواء : إليها بالهواء ح || الهواء : ساقطة من ب || المخالطة له بالبخار : المخالط لها بالبخار ح ، هـ ؛ الموجودة فى البخار المخالط س || المنطبعة : الرائحة المنطبعة س .
(١٣) له المخالطة : ساقطة من هـ || فيه فتحيله : فيها فتحيلها ح ، هـ ؛ فيه مخالطة فتحيله س .

ومنها اللمس ، وهى قوة مرتبة فى أعصاب جلد البدن كله ولحمه ، تدرك ما تماسه ، وتؤثر فيه بالمضادة ، وتغيره فى المزاج أو الهيئة . ويشبه أن تكون هذه القوة لا نوعاً بل جنساً لقوى أربع منبثة معاً فى الجلد كله ، واحدتها حاكمة فى التضاد الذى بين الحار والبارد ، والثانية حاكمة فى التضاد الذى بين اليابس والرطب ، والثالثة حاكمة فى التضاد الذى بين الصلب واللين ، والرابعة حاكمة فى التضاد الذى بين الخشن والأملس ؛ إلا أنَّ اجتماعها معاً فى آلة واحدة يوهم تأحُّدَها فى الذات .

وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها قوى تدرك معانى المحسوسات . ومن المدركات ما يدرك ويفعل معاً ، ومنها ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً ، ومنها ما يدرك إدراكاً ثانياً .

والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أنَّ الصورة هى الشىء الذى تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً ، لكن الحس يدركه أولا ويؤديه إلى النفس ، مثل إدراك الشاة لصورة الذئب ، أعنى شكله وهيئته ولونه ، فإنَّ نفس الشاة الباطنة تدركها ، ويدركها أولا حسها الظاهر . وأما المعنى فهو الشىء الذى تدركه النفس من المحسوس من غير أن يدركه الحس الظاهر أولا ، مثل إدراك الشاة المعنى المضاد فى الذئب ، أو المعنى الموجب

(١) مرتبة : منبثة س ، ده || ولحمه : ساقطة من ع ؛ + فاشية فيه قرين الأعصاب س .
(٣) حاكمة : ساقطة من ﻫ
(٤) الذى : ساقطة من ﻫ (٥) الذى : ساقطة من ﻫ || اجتماعها : اجتماعهما س .
(٦) معاً : ساقطة من س || فى الذات : بالذات ؛ هنا نهاية هذا الكلام فى النجاة ص ٢٦١ ، واستأنف الكلام ص ٢٦٤ ، أما فى الشفاء ص ٢٩٠ فلم ينقطع .
(١٠) وإدراك : وبين إدراك س || هى : هو ع ، ده ، ﻫ .
(١١) الباطنة : الناطقة ع ، ﻫ || مثل : مثلا ع .
(١٢) فإن : وأن ع ، ﻫ || ويدركها : ويدرك ب ، س .
(١٣) حسها : بحسها ع || الظاهر : ساقطة من ﻫ || وأما : فأما ع .
(١٤) أو المعنى : والمعنى ب .

لخوفها إياه وهربها عنه ، من غير أن يكون الحس يدرك ذلك ألبتة . فالذى يدرك من الذئب أولا الحس ثم القوى الباطنة هو الصورة ، والذى تدركه القوى الباطنة دون الحس هو المعنى .

والفرق بين الإدراك مع الفعل والإدراك لا مع الفعل أنّ من شأن أفعال بعض القوى الباطنة أن تركب بعض الصور والمعانى المدركة مع بعض ، وتفصله عن بعض ، فيكون إدراك وفعل أيضاً فيما أدركت . وأما الإدراك لا مع الفعل فأن يكون الصورة أو المعنى يرتسم فى الشىء فقط من غير أن يكون له أن يفعل فيه تصرفاً ألبتة .

والفرق بين الإدراك الأول والإدراك الثانى أنّ الإدراك الأول هو أن يكون حصول الصورة على نحوٍ ما من الحصول ، قد وقع للشىء من نفسه . والإدراك الثانى هو أن يكون حصولها من جهة شىء آخر أدّى إليها .

فمن القوى المدركة الباطنة قوة فنطاسيا ، وهو الحس المشترك ، وهى قوة مرتبة فى التجويف الأول من الدماغ ، تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمسة متأدية إليها .

---

(٢) هو : فهى ع .
(٣) هو : فهو ع .
(٤) شأن : ساقطة من ﻫ .
(٥) أن تركب : أن لا تركب س .
(٦) أدركت : أدرك ع ، س || يكون : كون ع ؛ ساقطة من ب .
(٨) والإدراك الثانى : هو والثانى س .
(٩) قد : الذى قد ع ؛ وقد : ﻫ || من : فى ، س (١٠) حصولها : + له ﻫ .
(١١) القوى : القوة س || الباطنة : + الحيوانية ﻫ || فنطاسيا : بنطاسيا س || وهوالحس : والحس س .
(١٣) متأدية : التأدية ع || إليها : إليه ب .

ثم الخيال والمُصَوِّرَة ، وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف المقدم من الدماغ ، تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمسة ، وتبقى فيها بعد غيبة المحسوسات .

واعلم أنَّ القبول بقوة غير القوة التى بها الحفظ ؛ واعتبر ذلك من الماء ، فإنَّ له قوةَ قبول النقش ، وليس له قوة حفظه .

ثم القوة التى تسمى متخيلةً بالقياس إلى النفس الحيوانية ، ومفكرةً بالقياس إلى النفس الإنسانية . وهى قوة مرتبةٌ فى التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة ، من شأنها أن تركب بعض ما فى الخيال مع بعض ، وتفصل بعضه عن بعض ، بحسب الاختيار .

ثم القوة الوهمية ، وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية ، كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروبٌ عنه ، وأنَّ الولدَ معطوفٌ عليه .

ثم القوة الحافظة الذاكرة ، وهى قوة مرتبةٌ فى التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية . ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية ، كنسبة القوة التى تسمى خيالا بالقياس إلى الحس . ونسبة تلك القوة إلى المعانى كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة .

فهذه هى قوى النفس الحيوانية .

---

(١) والمصورة : والصورة ع ؛ والمتصورة س || آخر : أجزاء ﻫ .
(٢) فيها : فيه ب ، س .
(٣) بقوة : لقوة س || واعتبر : فاعتبر ع ، س ، ﻫ (٣ ، ٤) قوة قبول : قبول ب ، س
(١٠) عنه : منه ﻫ .
(١٣) الحس : + المشترك ب .
(١٤) الصور : الصورة ب ، ع .

وأما النفس الناطقةُ الإنسانيةُ فتنقسم قواها أيضاً إلى قوةٍ عاملة ، وقوةٍ عالمة . وكل واحدة من القوتين تسمى عقلا باشتراك الاسم .

فالعاملة قوةٌ هى مبدأ حركةٍ لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالرويّة ، على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية . ولها اعتبارٌ بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعية ، واعتبارٌ بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة ، واعتبارٌ بالقياس إلى نفسها . وقياسها إلى القوة الحيوانية النزوعية أن تحدث عنها فيها هيئات تخص الإنسان يتهيأ بها لسرعة فعلٍ وانفعال ، مثل : الخجل ، والحياء ، والضحك ، والبكاء ، وما أشبه ذلك . وقياسها إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو أن تستعملها فى استنباط التدابير فى الأمور الكائنة والفاسدة ، واستنباط الصناعات الإنسانية . وقياسها إلى نفسها أنّ فيما بينها و بين العقل النظرى تتولد الآراء الذائعة المشهورة ، مثل : أنّ الكذب قبيح ، والظلم قبيح ، وما أشبه ذلك من المقدمات المحدودة الانفصال عن العقلية المحضة فى كتب المنطق .

وهذه القوة هى القوة التى يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن ، على حسب ما توجبه أحكام القوة الأخرى التى نذكرها حتى لا تنفعل عنها ألبتة ، بل تنفعل هى عنها ، وتكون مقموعة دونها ، لئلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الأمور الطبيعية ،

(١) فى النجاة ص ٢٦٧ هذا العنوان : فصل فى النفس الناطقة .
(٣) حركة : الحركة ع .
(٥) نفسها : أنفسها ه .
(٦) عنها فيها : فيها لها ع ؛ منها فيها س ؛ فيها ه .
(٨) واستنباط : واستنباطات ع .
(١٠) والظلم : وأن الظلم ب .
(١١) فى كتب : بكتب ع .
(١٢) القوة التى : التى ع ، س ، ه || تتسلط : تسلط س .

وهى التى تسمى أخلاقاً رذيلة . بل يجب أن تكون غير منفعلة ألبتة ، وغير منقادة ، بل متسلطة ، فيكون لها أخلاق فضيلة . وقد يجوز أن تُنْسَبَ الأخلاق إلى القوى البدنية أيضاً ، ولكن إنْ كانت هى الغالبة تكون لها هيئة فعلية ، ولهذه هيئة انفعالية ، فيكون شىء واحد يحدث منه خُلُقٌ فى هذا ، وخلق فى ذاك . وإنْ كانت هى المغلوبة تكون لها هيئة انفعالية ، ولهذه هيئة فعلية غير غريبة . أو يكون الخلق واحداً ، وله نسبتان .

وإنما كانت الأخلاق عند التحقيق لهذه القوة ، لأنَّ النفس الإنسانية ـ كما يظهر من بعد ـ جوهرٌ واحدٌ ، وله نسبةٌ وقياسٌ إلى جنبتين : جنبةٌ هى تحته ، وجنبة هى فوقه ؛ وله بحسب كلِّ جنبة قوةٌ بها تنتظم العلاقة بينها وبين تلك القوة . فهذه القوة العملية هى القوة التى لها بالقياس إلى الجنبة التى دونها ، وهى البدن وسياسته .

وأما القوة النظرية فهى القوة التى لها بالقياس إلى الجنبة التى فوقها لتنفعل ، وتستفيد منها ، وتقبل عنها . فكأنَّ للنفس وجهين : وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل ألبتة أثراً من جنس مقتضى طبيعة البدن ؛ ووجه إلى المبادئ العالية ، ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك ، والتأثر منه هذا .

---

(١) رذيلة : رديئة س ؛ رذيلية ده .
(٢) فضيلة : فضيلية ده .
(٣) إن : إذا هـ || ولهذه : ولهذا ع ، س .
(٤) ذاك : ذلك ع ، ده .
(٥) ولهذه : ولهذا ع ، س ، هـ .
(٧) تحته : تحت س || فوقه : فوق س .
(٩) وهى : وهو ع ، س ، هـ .
(١٠) التى : ساقطة من هـ .
(١١) منها : منه س ، ده || عنها : عنه س ، ده || فكأن : وكأن س ، ده || للنفس : + منها س .
(١٣) والتأثر : والتأثير ده || منه : عنه هـ .

وأما القوة النظرية فهى قوةٌ من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة . فإنْ كانت مجردةً بذاتها فذاك ، وإنْ لم تكن فإنها تُصَيِّرها مجردةً بتجريدها إياها ، حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء . وسنُوضح هذا بَعْد .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصورة نسبة ؛ وذلك لأنَّ الشيء الذى من شأنه أن يقبل شيئاً ، قد يكون بالقوة قابلا له ، وقد يكون بالفعل .

والقوة تقال على ثلاثة معانٍ بالتقديم والتأخير : فيُقال قوةٌ للاستعداد المطلق الذى لا يكون خرج منه إلى الفعل شيء ، ولا أيضاً حصل ما به يخرج ؛ وهذا كقوة الطفل على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا لم يحصل للشيء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى اكتساب الفعل بلا واسطة ؛ كقوة الصبى الذى ترعرع وعرف القلمَ والدواةَ وبسائطَ الحروف على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا تَمَّ بالآلة ، وحدث مع الآلة أيضاً كمالُ الاستعداد ، بأنْ يكونَ له أنْ يفعل متى شاء بلا حاجةٍ إلى الاكتساب ، بل يكفيه أن يقصد فقط ؛ كقوة الكاتب المستكمل الصناعة إذا كان لا يكتب .

والقوة الأولى تسمى قوةً مطلقةً وهيولانية ؛ والقوة الثانية تسمى قوةً ممكنة ؛ والقوة الثالثة تسمى ملكة . وربما سميت القوة الثانية ملكة ، والثالثة كمالَ قوة .

---

(١) فى النجاة ص ٢٦٩ عنوان « فصل فى القوة النظرية » .
(٢) مجردة بذاتها : ساقطة من ب || فذاك : فذلك ع || إياها : إياه س .
(٤) الصورة نسبة : الصور نسب س ، ه || نسبة : نسب هـ .
(٧) منه إلى الفعل : بالفعل منه ب ؛ منه بالفعل ع ، هـ || وهذا : وهذه هـ .
(٨) لهذا الاستعداد : لهذه الاستعدادات س || لم : + كان هـ .
(٩) بلا واسطة : بالواسطة ب .
(١١) بأن : وبأن ع || يكفيه : بكيفية هـ
(١٤) ملكة : الملكة ع .

فالقوة النظرية إذن تارةً تكون نسبتُها إلى الصورة المجردة التى ذكرناها نسبةً مّا بالقوة المطلقة ، حتى تكونَ هذه القوةُ للنفس لم تقبل بعد شيئاً من الكمال الذى بحسبها ، وحينئذ تسمى عقلا هيولانيا . وهذه القوة التى تسمى عقلا هيولانياً موجودةٌ لكل شخص من النوع . وإنما سميت هيولانية تشبيهاً بالهيولى الأولى ، التى ليست هى بذاتها ذات صورة من الصور ، وهى موضوعة لكل صورة .

وتارةً نسبةً مّا بالقوة الممكنة ، وهى أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من الكمالات المعقولات الأولى التى يتوصل منها وبها إلى المعقولات الثانية ـ أعنى بالمعقولات الأولى المقدمات التى يقع بها التصديق لا بالاكتساب ، ولا بأن يشعر المُصَدِّق بها أنه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها وقتاً ألبتة ، مثل اعتقادنا بأن الكلَّ أعظم من الجزء ، وأنَّ الأشياء المساوية لشىء واحد متساوية ـ فما دام إنما حصل فيه من العقل هذا القدر بعد ، فإنه يسمى عقلا بالملكة . ويجوز أن يسمى هذا عقلا بالفعل بالقياس إلى الأولى ، لأن تلك بعد ليس لها أن تعقل شيئاً بالفعل ، وأما هذه فإنها تعقل إذا أخذت تقيس بالفعل .

وتارةً نسبةً مّا بالقوة الكمالية ، وهو أن يكون قد حصل فيها أيضاً الصورة المعقولة المكتسبة بعد المعقولة الأولية ؛ إلا أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل ، بل كأنها عنده

---

(١) ذكرناها : ذكرنا ه .
(٣) وهذه ..... هيولانياً : ساقطة من ه.
(٤) هيولانية : هيولانياً ع || التى ليست : وليست ب .
(٦) القوة : بالقوة ب || قد : وقد ب .
(٧) الكمالات : ساقطة من ع ، ه .
(١٠) إنما حصل : يحصل ع || حصل : يحصل ه .
(١١) عقلا بالملكة ويجوز أن يسمى : ساقطة من س || الأولى : الأول س || تلك : الأولى ع ؛ ساقطة من ب .
(١٣) وتارة : + تكون ه || الصورة : الصور ب .

مخزونة ، فمتى شاء طانع تلك الصورةَ بالفعل فعقلها ، وعقل أنه عقلها ؛ ويسمى عقلا بالفعل لأنه عقلٌ يعقل متى شاء بلا تكلف اكتساب ، وإنْ كان يجوز أن يسمى عقلا بالقوة بالقياس إلى ما بعده .

وتارةً يكون نسبةً مّا بالفعل المطلق ، وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرةً فيه ، وهو يطالعها بالفعل ، فيعقلها بالفعل ، ويعقل أنه يعقلها بالفعل ، فيكون حينئذ عقلا مستفاداً . وإنما سُمِّى عقلا مستفاداً لأنه سيتضح لنا أنَّ العقل بالقوة إنما يخرج إلى الفعل بسبب عقلٍ هو دائماً بالفعل ، وأنه إذا اتصل به العقل بالقوة نوعاً من الاتصال انطبع منه بالفعل نوع من الصور تكون مستفادة من خارج .

فهذه أيضاً مراتب القوى التى تسمى عقولا نظرية .

وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيوانى ، والنوع الإنسانى منه . وهناك تكون القوة الإنسانية تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله .

فاعتبر الآن وانظر إلى هذه القوى كيف يرؤس بعضها بعضاً ، وكيف يخدم بعضها بعضاً ؛ فإنك تجد العقلَ المستفاد بل العقلَ القدسى رئيساً ، ويخدمه الكل ، وهو الغاية القصوى . تم العقل

(٢) عقل : فعل س ، ع ، فاعل فعل ه || بلا تكلف اكتساب : من غير اكتساب س ؛ بلا تكلف من غير اكتساب ده .

(٤) الصورة : الصور س .

(٧) هو دائماً بالفعل : كأنما هو بالفعل ع || وأنه : فإنه ع || به : ساقطة من س ، ع || منه : فيه س || بالفعل : + فيه س ، ده ، ه .

(٩) أيضاً : + من ع .

(١١) الإنسانية : ساقطة من ه || تشبهت : شبيهة ع .

(١٢) إلى : ساقطة من ه .

(١٣) بل العقل القدسى : ساقطة من س ، ع || وهو : فهو ع .

بالفعل يخدمه العقل بالملكة ، ثم العقل الهيولانى بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة . ثم العقل العملى يخدم جميع هذا ، لأنَّ العلاقة البدنية ، كما سيتضح بعد ، لأجل تكميل العقل النظرى وتزكيته ؛ والعقل العملى هو مدبِّرُ تلك العلاقة . ثم العقل العملى يخدمه الوهم . والوهم يخدمه قوتان : قوةٌ بَعْده وقوة قَبْله ؛ فالقوة التى بَعْده هى القوة التى تحفظ ما أدَّاه الوهم ؛ والقوة التى قبله هى جميع القوى الحيوانية . ثم المتخيلة تخدمها قوتان مختلفتا المأخذين ، فالقوة النزوعية تخدمها بالائتمار له لأنه يبعثها على التحريك ، والقوة الخيالية تخدمها بقبول التركيب والتفصيل فيما فيه من صورها . ثم هذان رئيسان لطائفتين : أمَّا القوة الخيالية فيخدمها فنطاسيا ، وفنطاسيا تخدمها الحواس الخمس .

وأما القوة النزوعية فتخدمها الشهوة والغضب . والشهوة والغضب تخدمهما القوة المحركة فى العضل . فها هنا تنتهى القوى الحيوانية .

ثم القوى الحيوانية بالجملة تخدمها النباتية ، وأولها ورأسها المولدة ؛ ثم المنمية تخدم المولدة ؛ ثم الغاذية تخدمها جميعاً . ثم القوى الطبيعية الأربع تخدم هذه ، وهى الهاضمة والجاذبة والماسكة والدافعة ، والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهةٍ والجاذبة من جهةٍ ، والدافعة تخدم جميعها . وتخدم جميعها الكيفيات الأربع ، لكن الحرارة تخدمها البرودة ، وتخدم كليهما اليبوسة والرطوبة . وهناك آخر درجات القوى .

---

(١) ثم العقل الهيولانى ..... بالملكة : ساقطة من س .

(٢) هذا : هذه ع ، ده .

(٤) أداه : أدى س .

(٦) فالقوة : والقوة ب || لأنه : لأنها ع ، ده ، هـ .

(٨) الخمس : الخمسة هـ .

(١٠) تنتهى : تنتهى ده .

(١١) المنمية : المربية ع ، س ؛ النامية ده .

(١٣ ، ١٤) والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهة والجاذبة من جهة ، والدافعة تخدم جميعها : الهاضمة وتخدمها من جهة الماسكة وهى جهة الجاذبة ويخدمها جميعاً الدافعة ومن جهة الدافعة والجاذبة ع ؛ الهاضمة تخدمها من جهة الماسكة ومن جهة الدافعة والماسكة تخدم جميعها س .

الفصل الثالث

فى اختلاف أفاعيل القوى المدركة من النفس

يُشْبه أنْ يكون كل إدراك إنما هو أخذ صورةِ المُدْرَك ، فإنْ كان لمادىّ فهو أخذ صورته مجردةً عن المادة تجريداً مّا . إلا أنَّ أصنافَ التجريد مختلفةٌ ، ومراتبَها متفاوتةٌ ؛ فإنَّ الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوالٌ وأمورٌ ليست هى لها بذاتها من جهة ما هى تلك الصورة . فتارةً يكون النزع نزعاً مع تلك العلائق كلها أو بعضها . وتارةً يكون النزع نزعاً كاملا ، بأن يجرد عن المادة وعن اللواحق التى لها من جهة المادة . مثاله أنَّ الصورة الإنسانية ، والماهية الإنسانية ، طبيعةٌ لا محالة ، يشترك فيها أشخاص النوع كله بالسوية ؛ وهى بحدِّها شىءٌ واحد . وقد عرض لها أنْ وُجِدت فى هذا الشخص وذلك الشخص فتكثرت ، وليس لها ذلك من جهة طبيعتها الإنسانية . ولو كانت الطبيعة الإنسانية يجب فيها التكثر لما كان يوجد إنسانٌ محمولًا على واحدٍ بالعدد . ولو كانت الإنسانيةُ موجودةً

---

(٢) فى اختلاف أفاعيل قواها ب العنوان ساقط من س ؛ فصل فى الفرق بين إدراك الحس وإدراك التخيل والوهم وإدراك العقل ده س ٢٧٥ ؛ فى الدلالة على ما تختلف به أفاعيل القوى المدركة من النفس هـ .

(٣) لمادى : المبادى ع ، المادى س ، ده .

(٤) إلا أن أصناف : لأن الأصناف من ع || أصناف : الأصناف من هـ .

(٥) الصورة : الصور ب ، س || هى : ساقطة من هـ || جهة : جملة ع .

(٧) لها : ساقطة من ع .

(٩) بحدها : بحدثها ع .

(١٠) الطبيعة : ساقطة من ب ، ع .

(١١) كان يوجد : كان أن يوجد ب .

لزيدٍ لأجل إنسانيته لما كانت لعمرو ؛ فإذن إحدى العوارض التى تعرض للصورة الإنسانية من جهة المادة هو التكثر والانقسام ، ويَعْرِض لها أيضاً غيرُ هذه العوارض ، وهى أنها إذا كانت فى مادة ما حصلت بقدرٍ من الكم والكيف والأين والوضع . وجميع هذه أمورٌ غريبةٌ عن طباعها ، لأنه لو كانت لأجل الإنسانية هى على هذا الحد ، أو حدٍّ آخر من الكم والكيف والأين والوضع ، لكان يجب أن يكون كلُّ إنسانٍ مشاركاً للآخر فى تلك المعانى ؛ ولو كان لأجل الإنسانية على حد آخر وجهة أخرى من الكم والكيف والأين والوضع ، لكان كلُّ واحدٍ من الناس يجب أن يشتركوا فيه . فإذن الصورة الإنسانية بذاتها غيرُ مستوجبةٍ أنْ يلحقَها شىء من هذه اللواحق .

فهذه اللواحق عارضة لها من جهة المادة ضرورةً ، لأنَّ المادة التى تقارنها تكون قد لحقتها هذه اللواحق . فالحس يأخذ الصورةَ عن المادة مع هذه اللواحق ، ومع وقوع نسبةٍ بينها وبين المادة ، فإذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ ، وذلك لأنه [لا] ينزع الصورة عن المادة مع جميع لواحقها ، ولا يمكنه أن يستثبت تلك الصورة إنْ غابت المادة ، فيكون كأنه لم ينزع الصورة عن المادة نزعاً محكماً ، بل يحتاج إلى وجود المادة أيضاً فى أنْ تكون تلك الصورةُ موجودةً لها .

(١) لأجل : + أنها هـ || إنسانيته : إنسانية ع || لما : كما س || للصورة : للصور ب .
(٣) وجميع : فجميع هـ .
(٤) طباعها : + وذلك هـ .
(٥) للآخر : لآخر ع .
(٧) الصورة : الصور ب .
(٩) اللواحق : + غريبة ع .
(١١) فإذا : إذا ب ، س ، هـ ؛ وإذا ه || الأخذ : الأصل ع || لا : زيادة فى النجاة والشفاء ، وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .
(١٢) يستثبت : يثبت ع || فيكون كأنه : فكأنه ع .

وأماَّ الخيال والتخيل فإنه يبرئ الصورة المنزوعة عن المادة تبرئةً أشد ، وذلك أنه يأخذها عن المادة بحيث لا يحتاج فى وجودها فيها إلى وجود مادتها ، لأنَّ المادة ، وإنْ غابت و بطلت ، فإنَّ الصورة تكون ثابتةَ الوجود فى الخيال ، إلا أنها لا تكون مجردةً عن اللواحق المادية . فالحس لم يجردها عن المادة تجريداً تاماً ، ولا جردها عن لواحق المادة . وأماَّ الخيال فإنه قد جردها عن المادة تجريداً تاماً ، ولـكنه لم يجردها ألبتة من لواحق المادة ، لأن الصورة فى الخيال هى على حسب الصورة المحسوسة ، وعلى تقديرٍ ماَّ ، وتكييفٍ ماَّ ، ووضعٍ ماَّ . وليس يمكن فى الخيال ألبتة أن تُتَخيل صورةٌ هى بحالٍ يمكن أن يشترك فيه جميع أشخاص ذلك النوع ، فإنَّ الإنسان المُتَخَيَّل يكون كواحدٍ من الناس . ويجوز أن يكون ناسٌ موجودين ومتخيلين ليسوا على نحوِ ما يخيِّل الخيال ذلك الإنسان .

وأما الوهم فإنه قد تعدى قليلا عن هذه المرتبة فى التجريد، لأنه ينال المعانى التى ليست هى فى ذواتها بمادية ، وإنْ عَرَضَ لها أنْ تكون فى مادة ؛ وذلك لأنَّ الشـكلَ واللونَ والوضعَ وما أشبه ذلك ، أمورٌ لا يمكن أن تكون إلا لمواد جسمانية .

وأما الخير والشر ، والموافق والمخالف ، وما أشبه ذلك ، فهى أمور فى أنفسها غير مادية ،

---

(١) تبرئة : تبرئاً س || وذلك أنه : وكذلك ع ؛ وذلك هـ .
(٢) مادتها : مادته ب ، س .
(٣) مجردة : جردته س .
(٤) فالحس : والحس س .
(٥) ولـكنه : ولـكن ع ، س .
(٦) الصورة المحسوسة : الصور المحسوسة ع ، س .
(٩) موجودين : موجودون ب ، هـ || ومتخيلين : ومتخيلون ب ، ع ، هـ ؛ متخيلوت س .
(١٠) التى : ساقطة من ب || هى : ساقطة من ب .
(١٢) ذلك : + هى ع || لمواد : فى مواد هـ .
(١٣) فهى : فهو س .

وقد يعرض لها أنْ تكون فى مادة ؛ والدليل على أنَّ هذه الأمور غيرُ مادية ، أنَّ هذه الأمور لو كانت بالذات مادية لما كانت تعقل خيراً أو شراً ، وموافقاً أو مخالفاً ، إلا عارضاً لجسم ، وقد تعقل ذلك . فبيِّنْ أنَّ هذه الأمور هى فى أنفسها غيرُ مادية ، وقد عرض لها أنْ كانت مادية .

والوهم إنما ينال ويُدْرك أمثالَ هذه الأمور ، فإذن هو يُدْرك أموراً غير مادية ، ويأخذها عن المادة . فهذا النزع إذن أشدُّ استقصاء ، وأقربُ إلى البساطة من النزعين الأولين ، إلا أنه مع ذلك لا يجرد هذه الصورة عن لواحق المادة ، لأنه يأخذها جزوْية ، وبحسب مادةٍ مادةٍ ، وبالقياس إليها ، وبمشاركة الخيال فيها .

وأما القوة التى تكون الصور المستثبتة فيها ، إمَّا صور موجودات ليست بمادية ألبتة ولا يَعْرض لها أنْ تكون مادية ؛ أو صور موجودات ليست بمادية ولكن قد يعرض لها أنْ تكون مادية ؛ أو صور موجودات مادية ولكن مبرأة عن علائق المادة من كل وجه . فبيِّن أنها تدرك الصور بأن تأخذها أخذاً مجرداً عن المادة من كل وجه .

أمَّا ما هو متجرد بذاته عن المادة ، فالأمر فيه ظاهر .

وأمَّا ما هو موجود للمادة ، إمَّا لأنَّ وجودَه مادىٌّ ، وإما عارض له ذلك ، فينزعها

---

(٢) عارضاً لجسم : عارضة بالجسم ح .

(٣) وقد : ولكن قد ه || الأمور : أمور ح .

(٥) هو : هى ب ، س ؛ الوهم س .

(٦) المادة : ساقطة من ه || لأنه : لأنها ب ، س .

(٧) وبالقياس : بالقياس ب || إليها : + ومتعلقة بصور محسوسة مكنوفة بلواحق المادة ولأنه يأخذها س ، ه || وبمشاركة : أو بمشاركة ح ؛ بمشاركة ب .

(١١) مادية : + كصورة الإنسانية ه .

(١٣) عن المادة : ساقطة من ب .

(١٤) للمادة : فى المادة ب .

عن المادة من كل وجه وعن لواحق المادة معها ، فيأخذها أخذاً مجرداً ، حتى يكون الإنسان الذى يقال على كثيرين ، فيأخذ الكثير طبيعة واحدة ، و يفرزه عن كل كم و كيف وأين ووضع مادى ، ثم يجرده عن ذلك بما يصلح أنْ يُقال على الجميع .

فبهذا يفترق إدراك الحاكم الحسى ، و إدراك الحاكم الخيالى ، و إدراك الحاكم الوهمى ، و إدراك الحاكم العقلى .

و إلى هذا كنا نسوق الكلام فى هذا الفصل .

---

(١) من كل وجه : ساقطة من س ، ص ، ه .

(٢) ويفرزه : ويفرده ص .

(٤) يفترق : يفرق ع .

(٦) كنا : المعنى ه || هذا : ساقطة من ه .

الفصل الرابع

فى الدلالة على أن كل ما كان من القوى مدركا فليس يدركها إلا بآلة

فنقول : أمّا المدرك من الصور الجزئية كما تدركه الحواس الظاهرة على هيئة غير تامة التجريد والتفريد عن المادة ، ولا مجردةٍ أصلا عن علائق المادة ، فالأمر فيه واضحٌ سهلٌ . وذلك لأنَّ هذه الصور إنما تُدرَك ما دامت المواد حاضرةً وموجودة . والجسم الحاضر الموجود إنما يكون حاضراً موجوداً عند جسم ، وليس يكون حاضراً عند ما ليس بجسم ، فإنه لا نسبةَ له إلى قوة مجردة من جهة الحضور والغيبة ؛ فإنَّ الشيء الذى ليس فى مكان لا يكون للشيء المكانى إليه نسبةٌ فى الحضور عنده ، والغيبة عنده ، بل الحضور لا يقع إلا على وضعٍ وقربٍ و بعدٍ للحاضر عند المحضور . وهذا لا يمكن إذا كان الحاضر جسماً ، إلا أن يكونَ المحضورُ جسماً أو فى جسم .

وأما المدرك للصور الجزئية على تجريد تام من المادة ، وعدم تجريد ألبتة من العلائق

---

(٢) فى .... بآلة : فى أن إدراكها يكون بآلات فى حال ب ؛ ساقطة من س ؛ فصل فى أنه لا شيء من المدرك للجزئى بمجرد ، ولا من المدرك للكلى بمادى ، وكل إدراك جزئى فهو بآلة جسمانية هـ ؛ فى أن المدركات الجزئية إنما هى بالآلة ه .

(٣) الظاهرة : + وهو المدرك هـ .

(٤) والتفريد : والتفريق ب ، هـ || ولا مجردة : والمجردة ه .

(٥) هذه : أخذ ه || وموجودة : موجودة س || والجسم : فالجسم ع .

(٧) قوة : القوة ه || مجردة : مفردة س ، ه || والغيبة : ساقطة من س .

(٨) والغيبة : ولا الغيبة ب || عنده : عنه ع ، س ، ه .

(١١) المدرك : المدركة ع .

كالخيال ، فهو لا يتخيل إلا أن ترتسم الصورة الخيالية فيه فى جسم ارتساماً مشتركاً بينه وبين الجسم .

ولنفرض الصورة المرتسمة فى الخيال صورةَ زيدٍ على شكله وتخطيطه ، ووضع أعضائها بعضها عند بعض ، فنقول : إنَّ تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترتسم فى جسم ، وتختلف جهات تلك الصورة فى جهات ذلك الجسم ، وأجزاؤه فى أجزائه .

ولننقل صورة زيد إلى صورة مربع ا ب ح ء المحدود المقدار ، والجهة ، والكيفية ، واختلاف الزوايا بالعدد . وليكن متصلاً بزاويتى ا ب منه مربعان كلٌّ واحد مثل الآخر ، ولكل واحد جهة معينة ، لكنهما متشابها الصورة . ويرتسم من الجملة صورة شكل جزئية واحدة بالعدد فى الخيال . فنقول : إن مربع ا هـ و ز وقع غيراً بالعدد لمربع ب ح ط ى ووقع فى الخيال منه بجانب اليمين ، ومتميزاً بالوضع فى الخيال ، فلا يخلو إمَّا أن تكون لصورة المربعية أو تكون لعارض خاص له فى المربعية غير صورته ، أو تكون للمادة التى هى تنطبع فيه . ولا يجوز أن تكون مغايرته له من جهة الصورة المربعية ، وذلك أنَّا فرضناهما متشاكلين متشابهين متساويين. ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض يخصه . أمَّا أولا فلأنَّا لا نحتاج فى تخيله يميناً إلى اعتبار

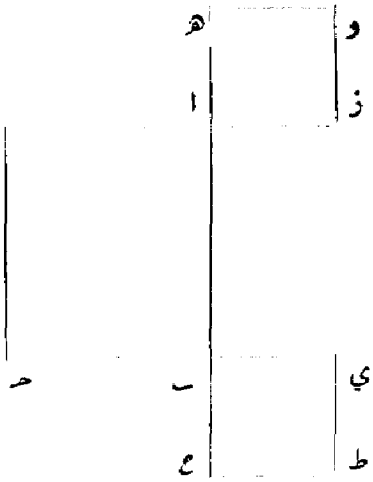

(٣) أعضائها : أعضائه هـ .
(٧) وليكن : ولكن س || واحد : + منهما هـ .
(١٠) ومتميزاً : + عنه هـ .
(١٣) هى : ساقطة من ب || فيه : فيها ع .
(١٤) مغايرته : مغايرة ع ، س .
(١٥) متشاكلين : شكلين هـ .
(١٦) لعارض : + خاص ع || فلأنا : فإنا ع .

إيقاع عارض فيه ليس فى ذلك . وأما ثانياً فإنَّ ذلك العارض إمَّا أنْ يكون شيئاً فى نفسه لذاته ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى ما هو شكله فى الموجودات حتى يكون كأنه شكل منزوع عن موجود هو لهذا الخيال ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى القوة القابلة ، أو يكون شيئاً له بالقياس إلى المادة الحاملة . ولا يجوز أن يكون شيئاً له فى نفسه من العوارض التى تخصه ، لأنه إمَّا أنْ يكون لازماً أو زائلا ؛ ولا يجوز أن يكون لازماً له بالذات ، إلا وهو لازمٌ لمشاركةٍ فى النوع ، فلا يكون لهذا عارض لازم ليس كذلك . وأيضاً فإنه لا يجوز إنْ كان هو فى قوةٍ غير متجزئة أن يعرض له شىء دون الآخر الذى هو مثله ، ومحلهما واحد غير متجزئ ، وهو القوة القابلة . ولا يجوز أن يكون زائلا ، لأنه يجب إذا زال ذلك الأمر أنْ تتغير صورته فى الخيال ؛ والخيال إنما يتخيله هكذا ، لا بسبب شىء يقرنه به ، بل يتخيله كذلك كيف كان . ولهذا لا يجوز أن يقال إنْ فَرَضَ الفارض جعله بهذه الحال ، كما يجوز أن يقال فى مثله للمعقول ؛ وذلك لأنه تبقى المسألة بحالها ، فيقال كيف أمكن للفارض أنْ يفرضه بهذه الحال فتميَّز عن الثانى ، وما الشىء الذى يعمله به حتى فرض هذا هكذا ، وذاك كذاك .

وأمَّا فى الكلى فهناك أمرٌ يقرنه به العقل وهو حدُّ التيامن مع حد التياسر ، وذلك الحد لأمرٍ معقولٍ كلىٍّ يصح . وأمَّا لهذا الجزئى فليس يوجد له هذا الحد دون صاحبه ، إلا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبه ، ولا الخيال يفرضه هكذا بشرطٍ يقرنه به ،

---

(٣) لهذا الخيال : بهذه الحالة ب .
(٥) زائلا : زائداً ﻫ .
(٦) النوع : + فإن المربعين وضعاً متساويين || كذلك : لذلك ﻫ .
(٩) بسبب : لسبب ع .
(١١) للفارض : الفارض س .
(١٦) به : ساقطة من ع || هكذا بشرط : هذا الشرط ع .

بل يتخيله كذلك دفعةً على أنه فى نفسه ، كذلك لا يفرضه فيتخيل هذا يميناً وذاك يساراً إلا بسبب شرطٍ يُقرن بذلك أو بهذا . وحد التيامن والتياسر يلحق هناك المربع ، وهو مربع لم يعرض له شىء آخر لحوق الكلى بالكلى . وأما ها هنا فما لم يقع له أولا وضعٌ محدودٌ جزئى ، فلا يقع تحت الحد ، ليس الفرض ها هنا يجعله بذلك الوضع فى الخيال ؛ بل وقوع ذلك الوضع فى الخيال يجعله بحيث يصدق عليه ذلك الفرض . والخيال ليس عنده حدٌ ألبتة ، لأنَّ الحدَّ كلىٌّ ، فكيف يلحق هوية الحد ؟ فقد بطل أن يكون هذا التميز بسبب عارضٍ ، لازم أو غير لازم ، فى ذاته أو مفروض ، فنقول :

ولا يجوز أنْ يكون ذلك بالقياس إلى الشىء الموجود الذى هو خياله ، وذلك لأنه كثيراً ما يتخيل ما ليس ، ولا تكون نسبةٌ ألبتة إلى ما ليس . وأيضاً فإنْ وقع لأحد المربعين نسبةٌ إلى جسم ، وللمربع الآخر نسبةٌ أخرى ، فليس يجوز أن يقع ومحلهما غير منقسم . وليس أحد المربعين الخياليين أولى بأن يُنسب إلى أحد المربعين الخياليين دون الآخر ، إلا أن يكون قد وقع هذا فى نسبةٍ للحامل إلى الجسم لا يقع الآخر فيها ، فيكون إذن محلُّ ذلك غيرَ محل هذا ، وتكون القوةُ منقسمةً ؛ ولا تنقسم بذاتها بل بانقسامٍ ما فيها ، فتكون جسمانيةً ، والصورة مرتسمة فى جسم . فإذن ليس يصح أنْ يفترق المربعان فى الخيال لافتراق المربعين الموجودين ، وبالقياس إليهما ، فبقى أنْ يكون ذلك إمَّا بسبب افتراق الجزء من القوة القابلة ، أو الجزء من الآلة التى بها تعقل القوة . وكيف كان فالحاصل يبقى

---

(١) كذلك : لذلك ح || كذلك لا : حتى لا ح .

(٤) فلا : حتى لا ح .

(١٠) ومحلهما : محلهما ح .

(١١) وليس : فليس ح || الخياليين : + بجسمانيين س ؛ الخارجين هـ .

(١٢) قد : ساقطة من ح ، س || للحامل : الحامل ب ، ح .

(١٦) فالحاصل : فإن الحاصل ب ، س .

أنَّ الإدراك بمادة جسمانية . أما القوة القابلة فلأنها لا تنقسم إلا بانقسام مادتها ؛ وأما الآلة الجسمانية ، فهى التى إياها نعنى .

فقد اتضح أنَّ الإدراك الخيالى هو أيضاً بجسم . ومما يبيِّن ذلك أنَّا نتخيل الصورةَ الخيالية ، كصورة الإنسان مثلا ، أصغر أو أكبر ؛ ولا محالة أنها ترتسم وهى أكبر ، وترتسم وهى أصغر فى شىء ، لا فى مثل ذلك الشىء بعينه ، لأنها إن ارتسمت فى مثل ذلك الشىء فالتفاوت فى الصغر والكبر إمَّا أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، وإمَّا بالقياس إلى الأخذ ، وإمَّا بالقياس إلى الصورتين . وليس يجوز أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، فكثير من الصور الخيالية غير مأخوذة عن شىء ألبتة ؛ ولا يجوز أنْ يكون بسبب الصورتين فى أنفسهما ، فإنهما لمَّا اتفقتا فى الحد والماهية ، واختلفتا فى الصغر والكبر ، فليس ذلك لنفسيهما ، فإذن ذلك بالقياس إلى الشىء القابل ، لأنَّ الصورةَ تارةً ترتسم فى جزء منه أكبر ، وتارةً فى جزء منه أصغر . وأيضاً فإنه ليس يمكننا أن نتخيل السوادَ والبياضَ فى شَبَحٍ خياليٍّ واحدٍ معاً ، ويمكننا ذلك فى جزأين منه ؛ ولو كان الجزآن لا يتميزان فى الوضع ، بل كان كلا الخياليين يرتسمان فى شىء غير منقسم ، لكان لا يفترق الأمر بين

---

(٤) الإنسان : الناس ب || أو أكبر : وأكبر ب ، ع || وهى أكبر : ساقطة من ب .

(٥) مثل : ساقطة من هـ .

(٦) الصغر والكبر : الصغير والكبير هـ .

(٧) وإما : وهما هـ || بالقياس إلى : لنفس س ، هـ .

(٨) مأخوذة : مأخوذ ب .

(٩) الصغر والكبر : الصغير والكبير هـ .

(١٠) لنفسيهما : لأنفسهما س .

(١٣) لكان : لكن س .

المتعذر منهما والممكن . فإذن الجزءان متميزان فى الوضع . ولما علمتَ هذا فى الخيال ، فقد علمتَ فى الوهم أنّ الذى يدركه إنما يدركه متعلقاً بصور جزئية خيالية ، على ما أوضحناه قبل .

وقد يمكننا أن نزيد هذا القول شرحاً واستشهاداً ، إلا أنّا نؤثر الاختصار ما أمكننا ، خصوصاً فيما يجرى مجرى الرسائل .

(٢) أن الذى : الذى ما ب ، س ، ه || أوضحناه : أوضحنا ه .

(٤) واستشهادا : وإشهادا ب ، س .

(٤، ٥) وقد . . . . الرسائل : هذه العبارة ساقطة من النجاة .

الفصل الخامس

فى أن إدراكها لا يكون بآلات فى حال

نقول : إنّ الجوهر الذى هو محل المعقولات ليس بجسم ، ولا قائم بجسم ، على أنه قوة فيه ، أو صورةٌ له بوجه . فإنّه إنْ كان محل المعقولات جسما أو مقداراً من المقادير ، فإمّا أنْ يكونَ محلُّ الصور فيه طرفاً منه لا ينقسم ، أو يكون إنما يحل منه شيئاً منقسما .

ولنمتحن أولا أنه هل يمكن أنْ يكون طرفاً غير منقسم : فأقول . إنّ هذا محال ؛ وذلك لأن النقطة هى نهاية ما لا تميز لها فى الوضع عن الخط أو المقدار الذى هو متصل به ، حتى ينتقش فيه شىء من غير أن يكون فى شىء من ذلك الخط . بل كما أنّ النقطة لا تنفرد بذاتها ، وإنما هى طرفٌ ذاتى لما هو بالذات مقدار ، كذلك إنما يجوز أن يقال بوجه مّا إنه يحل فيها طرف شىء حالٍ فى المقدار الذى هو طرفه متقدر به بالعرض ؛ وكما أنه يتقدر به بالعرض كذلك يتناهى بالعرض مع النقطة . ولو كانت النقطة منفردةً تقبل شيئاً من الأشياء، لكان يتميز لها ذات ، فكانت النقطة حينئذ ذات جهتين ، جهة منها تلى الخط ، وجهة

---

(٢) بآلات : بالآلة ح || فى . . . . . حال : ساقطة من س ؛ فصل فى تفصيل الكلام على تجرد الجوهر الذى هو محل المعقولات ده ؛ فى أن المدرك للصور الكلية لا يكون بآلات بحال هـ .

(٥) الصور : الصورة ب .

(٧) لها : له ب || أو . . . . به : والمقدار الذى هو منته إليها فه .

(٨) ينتقش : يستقر ح .

(٩) مقدار : ساقطة من ب || ما : ساقطة من ب

(١٠) متقدر : فيتقدر ب || وكما : فكما ب .

(١١) مع : فى س || منفردة : مفردة هـ .

(١٢) فكانت : وكانت س || الخط : + الذى تميزت عنه هـ .

منها مخالفة له مقابلة ، فتكون حينئذ منفصلة عن الخط ، وللخط نهاية غيرها تلاقيها ، فتكون تلك النقطة نهاية الخط لا هذه ، والكلام فيها وفى هذه النقطة واحدٌ ، ويؤدى هذا إلى أن تكون النقط متشافعةً فى الخط ، إمَّا متناهية وإمَّا غير متناهية ؛ وهذا أمرٌ قد بان لنا فى مواضع أخرى استحالته . فقد بان أنَّ النقط لا تتركب بتشافعها ، وبان أيضاً أنَّ النقطة لا يتميز لها وضع خاص . ونشير إلى طرف منها فنقول : إنَّ النقطتين حينئذ اللتين تطبقان بنقطة واحدة من جنبتيها إمَّا أنْ تكون هذه النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا تتماسان ، فيلزم حينئذ فى البديهة العقلية الأولية أن تكون كل واحدة منهما تختص بشىء من الوسطى تماسه ، فتنقسم حينئذ الواسطة ، وهذا محال . وإمَّا أنْ تكون الوسطى لا تحجز المكتنفتين عن التماس فحينئذ تكون الصورةُ المعقولةُ حالةً فى جميع النقط ، وجميع النقط كنقطة واحدة . وقد وضعنا هذه النقطةَ الواحدةَ منفصلةً عن الخط ، فللخط من جهة ما ينفصل عنها طرفٌ غيرها بها ينفصل عنها ، فتلك النقطة تكون مباينة لهذه فى الوضع ، وقد وُضِعَت النقط كلها مشتركة فى الوضع ، هذا خلفٌ . فقد بطل أن يكون محلُ المعقولات من الجسم شيئاً غير منقسم ، فبقى أن يكون محلها من الجسم — إنْ كان محلها جسما — شيئاً منقسما .

---

(١) له : لها ب || مخالفة له : تخالف الذى تتميز به عنه وهى له ع .

(٢) هذه : هذا هـ .

(٣) متشافعة : متتابعة ع || أمر : الأمر ع .

(٤) فقد ... بتشافعها : ساقطة من ب ، س .

(٤ ، ٥) وبان ... خاص : ساقطة من ب ، ع ، س .

(٥) يتميز : يتم هـ .

(٦) جنبتيها : جنبتيه ع ، س || هذه : ساقطة من ب .

(٩) وجميع النقط : ساقطة من هـ .

(١١) مباينة : متباينة ع .

(١٢) بطل : + إذن هـ || من الجسم : ساقطة من ب ، ع ، هـ .

(١٣) محلها : محله ع ، س || إن كان محلها جسما : ساقطة من ع ، س .

فلنفرض صورةً معقولة فى شىء منقسم ، فإذا فرضناها فى الشىء المنقسم انقساماً عرض للصورة أن تنقسم ، فحينئذ لا يخلو إمّا أنْ يكون الجزءان متشابهين أو غيرَ متشابهين. فإنْ كانا متشابهين ، فكيف يجتمع منهما ما ليس هما ؟ إلا أنْ يكون ذلك الشى شيئاً يحصل فيهما من جهة المقدار أو الزيادة فى العدد ، لا من جهة الصورة ، فتكون حينئذ الصورة المعقولة شكلا ماً أو عدداً ماً ، وليس كلُّ صورةٍ معقولةٍ بشكل ، وتصير حينئذ الصورةُ خياليةً لا عقلية . وأظهر من ذلك أنه ليس يمكن أنْ يقالَ إنَّ كلَّ واحدٍ من الجزأين هو بعينه الكل فى المعنى ، لأنَّ الثانى إنْ كان غيرَ داخلٍ فى معنى الكل ، فيجب أنْ نضع فى الابتداء معنى الكل لهذا الواحد لا لكليهما ، وإنْ كان داخلا فى معناه . فمن البيِّن الواضح أنَّ الواحد منهما وَحْدَه ليس يدل على نفس معنى التمام ، وإنْ كانا غيرَ متشابهين. فلننظر كيف يمكن أن يكون للصورة المعقولة أجزاء غير متشابهة ، فإنه ليس يمكن أن تكون الأجزاء الغير المتشابهة إلا أجزاء الحد التى هى الأجناس والفصول . ويلزم من هذا محالات : منها أنَّ كلَّ جزء من الجسم يقبل القسمة أيضاً بالقوة قبولا غير متناه ، فيجب أنْ تكون الأجناس والفصول بالقوة غير متناهية ؛ وقد صحَّ أنَّ الأجناس والفصول الذاتية للشىء الواحد ليست فى القوة غير متناهية . ولأنه ليس يمكن أن يكون تَوَهُّمُ القسمة بقدر الجنس والفصل ، بل مما لا شك فيه أنه إذا كان هناك جنسٌ وفصلٌ يستحقان تمييزاً فى المحل ،

---

(١) فرضناها : فرضنا ع ، س .
(٤) من جهة المقدار : من جهة بالزيادة فى المقدار ب ، ده .
(٨) لهذا : هو هـ || لكليهما : كليهما هـ .
(٩) نفس معنى : ساقطة من ده ؛ معنى نفس ع ، س .
(١٢) بالقوة : فى القوة س ، ده || بالقوة قبولا غير متناه : ساقطة من هـ .
(١٤) أن يكون : ساقطة من ب .
(١٥) والفصل : + تمييزاً بينهما ده .

أنَّ ذلك التمييز لا يتوقف على توهم القسمة ، فيجب أنْ تكون الأجناسُ والفصولُ أيضاً بالفعل غير متناهية ؛ وقد صحَّ أنَّ الأجناسَ والفصولَ وأجزاءَ الحدِّ للشيء الواحد متناهيةٌ من كل وجه . ولو كانت غير متناهية بالفعل ها هنا ، لكانت توجب أن الجسم الواحد يُفْصل بأجزاء غير متناهية .

وأيضاً لتكن القسمة وقعت من جهة ، وأفرزت من جانبٍ جنساً ، ومن جانبٍ فصلا ، فلو غيَّرنا القسمة لكان يقع منها فى جانبٍ نصفُ جنس ونصف فصل ؛ أو كان ينقلب [الجنس إلى مكان الفصل ، والفصل إلى مكان الجنس] فكان فرضنا الوهمى يدور مقام الجنس والفصل فيه . على أنَّ ذلك أيضاً لا يُغْنى ، فإنه يمكننا أن نوقع قسما فى قسم .

وأيضاً ليس كلُّ معقول يمكن أنْ يقسم إلى معقولات أبسط منه ، فإنَّ ها هنا معقولاتٍ هى أبسط المعقولات ، ومبادئَ للتركيب فى سائر المعقولات ، وليس لها أجناس ولا فصول ، ولا هى منقسمة فى الكم ، ولا هى منقسمة فى المعنى . فإذن ليس يمكن أن تكون الأجزاء المتوهمة فيه غيرَ متشابهة ، وكل واحد منها هو غير معنى الكل ؛ وإنما يحصل الكل بالاجتماع . فإذا كان ليس يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة ، ولا أن تحل

---

(١) على : إلى ع ، س .
(٢) وأجزاء الحد : واحد هـ .
(٣) هاهنا لكانت : لما كان يجوز أن يجتمع فى الجسم اجتماعاً على هذه الصورة فإن ذلك ده || أن : + يكون هـ
(٤) يفصل : انفصل ع ، ده .
(٥) وقعت : وقع س || وأفرزت : فأفرزت ع ؛ وأفرد س ؛ فأفرز هـ .
(٧) الجنس ... الجنس : زيادة فى ده .
(٨) فيه : + وكان يغير كل واحد منهما إلى جهة ما بحسب إرادة من بدن خارج ده .
(١٠) للتركيب : + ليست ع .
(١٢) وكل : كل ب ، س || هو غير : وهو فى س .
(١٣) الكل : الكلى س || فإذا : فإن س || الصورة المعقولة : صورة معقولة ع .

طرفاً من المقادير غير منقسم ، فبيّنٌ أنّ محل المعقولات جوهرٌ ليس بجسم ، ولا أيضاً قوة فى جسم ، فيلحقه ما يلحق الجسم من الانقسام ، ثم يتبعه سائر المحالات .

ولنا أن نبرهن على هذا ببرهان آخر، فنقول :

إنّ القوة العقلية هى التى تجرد المعقولات عن الكم المحدود والأين والوضع وسائر ما قيل ، فيجب أن ننظر فى ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هى مجردة عنه ، إماّ بالقياس إلى الشىء المأخوذ منه أو بالقياس إلى الشىء الآخذ ، أعنى أنّ هذه الذات المعقولة متجردةٌ عن الوضع فى الوجود الخارجى ، أو فى الوجود المتصوَّر فى الجوهر العاقل . ومحالٌ أنْ تكونَ كذلك فى الوجود الخارجى ، فبقى أن تكون إنما هى مفارقة للوضع والأين عند وجودها فى العقل . فإذن إذا وُجِدَت فى العقل ، لم تكن ذات وضع ، وبحيث تقع إليها إشارة تجزؤ ، أى انقسام أو شىء مما أشبه هذا المعنى ، فلا يمكن أن تكون فى جسم .

وأيضاً إذا انطبعت الصورة الأحدية الغير المنقسمة ، التى هى لأشياء غير منقسمة فى المعنى ، فى مادة ذات جهات ، فلا يخلو إما أن تكون ولا لشىء من أجزائها التى تُفرَض

---

(١) منقسم : + ولا بد لها من قابل فينا ده .

(٢) فيلحقه : فيلحقها ع || من : فى س || المحالات : تضيف النجاة عنواناً فى وسط السطر هو : برهان آخر فى المبحث المذكور .

(٤) المعقولات : العقليات ب .

(٥) ما قيل : المعقولات ه || إما : ساقطة من ع ، س ؛ هل ذلك التجرد ده .

(٦) أن : ساقطة من ع ، س ، ه .

(٧) متجردة : وكيف تتجرد ع ؛ تتجرد س ، ده || الجوهر : + وهو ع .

(٨) هى : هو س || مفارقة : مفارق ع ، س .

(٩) وجودها : وجوده ع ، س .

(١٠) أى : أو ع ، س ، ه .

(١٢) مادة : + منقسمة ه || تكون : لا تكون س || ولا : ساقطة من س .

فيها بحسب جهاتها نسبةٌ إلى الشيء المعقول ، الواحد الذات ، الغير المنقسم ، المتجرد عن المادة ، أو يكون ذلك لكل واحد من أجزائها التي تفرض ، أو يكون لبعضها دون بعض. فإنْ لم يكن ولا لشيء منها [نسبة] ، فليس ولا لكلها لا محالة نسبة ؛ وإن كان لبعضها نسبة دون بعض ، فالبعض الذي لا نسبة له ليس هو من معناه في شيء ؛ وإنْ كان لكل جزء يفرض نسبة مّا ، فإما أن يكون لكل جزء يفرض [نسبة] إلى الذات بأسرها ، أو إلى جزء من الذات . فإنْ كان لكل جزء يُفرض نسبةٌ إلى الذات بأسرها فليست الأجزاء إذن أجزاء المعنى المعقول ، بل كل واحد منها معقولٌ في نفسه مفردٌ . وإنْ كان كلُّ جزء له نسبة غير الأجزاء الأخرى إلى الذات ، فمعلوم أنَّ الذات منقسمةٌ في المعقول ، وقد وضعناها غير منقسمة ، هذا خُلْفٌ . وإنْ كان نسبة كل واحد إلى شيء من الذات غير ما إليه نسبة الآخر ، فانقسام الذات أظهر .

ومن هذا يتبيَّن أنَّ الصور المنطبعة في المادة لا تكون إلا أشباحاً لأمور جزئية منقسمة، ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة إلى جزء منها . وأيضاً فإنَّ الشيء المتكثر أيضاً في

---

(١) فيها : فيه ع ، س .

(٢) ذلك : تلك ع ، س .

(٣) لشيء : شيء س || نسبة : زيادة في ده .

(٤) نسبة : ساقطة من ع ، س ، ﻫ .

(٥) نسبة ما : ساقطة من ع ، س || نسبة : زيادة في ده (٥، ٦) أو . . . بأسرها : ساقطة من ب .

(٦) نسبة : ساقطة من ﻫ .

(٧) المعنى : معنى ع ، س || بل : فلكل س || كل : لكل ب || مفرد : + بل المعقول كما هو فيكون معقولا مرات لا نهاية لها بالفعل في آن واحد ده .

(٨) الأجزاء : ساقطة من ب ، س || المعقول : العقول س ؛ العقل ده .

(٩ ، ١٠) وإن . . . أظهر : ساقطة من ع ، س ، ﻫ .

(١١) المادة : الخاسة ب ، س .

(١٢) أو بالقوة : وبالقوة س .

أجزاء الحد له من جهة التمام وحدةٌ هو بها لا ينقسم ، فتلك الوحدة ـ بما هى وحدة ـ كيف ترتسم فى المنقسم ؟ وإلا فيعرض أيضاً ما قلناه فى غير المتكثر أجزاء حده .

وأيضاً فإنه قد صحّ لنا أنّ المعقولاتِ المفروضةَ التى من شأن القوة الناطقة أن تعقل بالفعل واحداً واحداً منها غيرُ متناهية بالقوة ، ليس واحدٌ أولى من الآخر . وقد صحّ لنا أنّ الشىء الذى يقوى على أمورٍ غيرِ متناهيةٍ بالقوة لا يجوز أنْ يكونَ محله جسما ، ولا قوةً فى جسم ؛ وقد بُرْهن على هذا فى السماع الطبيعى ؛ فلا يجوز إذن أنْ تكون الذات القابلةُ للمعقولات قائمةً فى جسم ألبتة ، ولا فعلها الكائن فى جسم ، ولا بجسم .

وقد كان يمكننا أن نزيد هذا بسطاً ، لكنا اختصرنا على ما هو أقرب إلى الأفهام .

---

(١) فتلك : فذلك س || وحدة : + فيه ع .

(٢) ترتسم : + أيضاً ﻫ || وإلا فيعرض : ساقطة من س || أيضاً : ساقطة من ﻫ || قلناه : قلنا ع ، س .

(٣) قد : ساقطة من س || لنا : ساقطة من ﻫ .

(٦) وقد : قد ب ، س || القابلة : العاقلة ب .

(٧) جسم : الجسم ع || فعلها الكائن : عقلها بكائن ده .

(٨) لكنا : لكن س .

الفصل السادس

فى بيان أن النفس كيف تستعين بالبدن وكيف تستغنى عنه بل يضرها

إنّ القوى الحيوانية تُعين النفسَ الناطقة فى أشياء ، منها أن يورد عليه الحس الجزئيات ، فيحدث لها من الجزئيات أمورٌ أربعة :

أحدها : انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريدٍ لمعانيها عن المادة ، وعن علائق المادة ولواحقها ، ومراعاة المشترك فيها والمتباين بها ، والذاتى وجوده والعرضى وجوده ، فيحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور ، وذلك بمعاونة استعمالها للخيال والوهم .

والثانى : إيقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب أو إيجاب . فما كان التأليفُ فيها بسلب أو إيجاب ذاتياً بيّناً بنفسه أخذته ، وما كان ليس كذلك تركته إلى مصادفة الواسطة .

---

(٢) فى . . . يضرها : فى أنهـا قد تحتاج إلى البدن وقد لا تحتاج ب ، هـ ؛ العنوان ساقط من س ؛ فصل فى إعانة القوى الحيوانية للنفس الناطقة ده .

(٣) الحس : + الحسيات س .

(٥) الكليات : للكليات ع .

(٦) فيها : فيه ع || بها : به ع .

(٧) وذلك بمعاونة : عن ع ، هـ || استعمالها : استعماله ع ، س ، هـ .

(٩) إيقاع : بإيقاع ع ، س || أو إيجاب : وإيجاب ب ، س .

(١٠) فيها : ساقطة من ب || ذاتياً : ساقطة من ب ، س || أخذته : أخذه ع ، س ، هـ .

(١١) تركته : تركه ع ، س ، هـ .

والثالث : تحصيل المقدمات التجريبية ؛ وهو أن يؤخذ بالحس محمولاً لازم الحكم لموضوع لازم الإيجاب والسلب ، أو منافياً له ، وليس ذلك فى بعض الأحايين دون بعض ، ولا على المساواة ، بل دائماً ، حتى تسكنَ النفسُ إلى أنَّ طبيعةَ هذا المحمول أنْ تكون فيه هذه النسبةُ إلى هذا الموضوع . وأنَّ طبيعة هذا التالى أن يلزم هذا المقدم أو ينافيه لذاته ، لا بالاتفاق ، فيكون ذلك اعتقاداً حاصلا من حسٍ أو قياسٍ . أمَّا الحسُّ فلأجل مشاهدة ذلك ؛ وأمَّا القياس فلأنه لو كان اتفاقيا لما وجد دائماً أو فى الأكثر . وهذا كالحكم منَّا بأنَّ السقمونيا مسهلٌ للصفراء بطبيعته ، لإحساسنا ذلك كثيرا ، أو بقياسنا أنه لو كان لا عن الطبع بل عن الاتفاق ، لوُجِد فى بعض الأحايين .

والرابع : الأخبار التى يقع التصديق بها لشدة التواتر .

فالنفس الإنسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق ؛ ثم إذا حصلتها رجعت إلى ذاتها . فإنْ عرض لها شىء من القوى التى دونها بأن تشغلها به ، شغلتها عن فعلها ، وأضرت بفعلها ، إلا فى أمور تحاج النفس فيها خاصةً بأن تعاود القوى الخيالية مرةً أخرى لاقتناص مبدإ غير الذى حصل ، أو معاونة بإحضار خيال . وهذا يقع فى الابتداء

---

(٢) له : + أو تالياً موجب الاتصال أو مسلوبه أو موجب العناد أو مسلوبه غير مناف له هـ .
(٣) على : + سبيل هـ || إلى أن : على أن ب ؛ إلى أن يتبين أن من هـ .
(٤) وأن طبيعة هذا التالى : والتالى ب ، ع .
(٥) أو قياس : وقياس ب ، س .
(٦) وجد : وجدته س || وهذا : ساقطة من هـ .
(٧) بأن : أن ب ، ع || بطبيعته : بطبعه ع ، س || لإحساسنا : لإحساسه ع || بقياسنا : بقياس ع .
(١٠) فالنفس : والنفس ع .
(١١) حصلتها : حصلته ع ، س || ذاتها : ذاته ع ، س || فإن عرض: وإن يعرض ع ؛ فإن يعرض س
(١١ ، ١٢) بأن تشغلها به شغلتها عن فعلها وأضرت بفعلها : بأن تشغله به شغلة عن فعله وأضرت بفعله ع ، س ؛ شاغلة إياها بما يليها من الأحوال شغلتها عن فعلها وأضرت بفعلها ش .

كثيرا ، ولا يقع بعده إلا قليلا .

وأما إذا استكملت النفس وقويت ، فإنها تنفرد بأفاعيلها على الإطلاق ، وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارفةً لها عن فعلها ؛ ومثال هذا أنَّ الإنسانَ قد يحتاج إلى ذاته وآلاتٍ ليتوصل بها إلى مقصدٍ ماً ، فإذا وصل إليه ، ثم عرض من الأسباب ما يحوله عن مفارقته ، صار السببُ الموصل بعينه عائقا . ٥

(١) بعده : عنده ع .
(٣) البدنية : + غير ع .
(٥) مفارقته : مفارقتها ب || عائقاً : مفارقاً هـ .

الفصل السابع

في صحة استغنائها عن البدن

أما البراهين التي أقمناها على أنّ محل المعقولات ، أعني النفس الناطقة ، ليست بجسم ، ولا هي قوة في جسم ، فقد كفتنا مؤونة الاستشهاد على صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن ؛ إلا أنّا نستشهد كذلك أيضاً من فعلها ، فنقول :

إنّ القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى يكون فعلها إنما يستتم باستعمال تلك الآلة الجسدانية ، لكان يجب أن لا تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة ، وأن لا تعقل أنها عقلت ؛ فإنه ليس بينها و بين ذاتها آلة ، وليس بينها وبين آلتها آلة ، ولا بينها و بين أنها عقلت آلة ؛ لكنها تعقل ذاتها ، وآلتها التي تدعى آلتها ، وتعقل أنها عقلت ، فإذن تعقل بذاتها لا بآلة .

وأيضاً لا يخلو إما أنْ يكون تعقلُها آلتَها لوجود ذات صورة آلتها ، إمّا تلك و إمّا أخرى مخالفة لها ، وهي صورتها أيضاً فيها وفي آلتها ، أو لوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك فيها وفي آلتها . فإنْ كان لوجود صورة آلتها ، فصورة آلتها في آلتها ، وفيها

(٢) في . . . البدن : ساقطة من س ؛ الكلام في النجاة متصل بما سبق .
(٤ ، ٥) مؤونة . . . البدن : هذه المؤونة ع ، س ، ه (٥) فعلها : + مرة ما س ؛ مرة ه .
(٦) تعقل : ساقطة من ب || يستتم : يستقيم ب ؛ يتم ه (٦ ، ٧) يستتم باستعمال : يسيرها استعمال ه .
(٨) وبين ذاتها : وبين تعقل ذاتها س .
(٩) وتعقل أنها : وأنها ع ، س .
(١٠) بآلة : بالآلة ع .
(١٣) كان : كانت ع ، س ، ه .

بالشركة دائماً ، فيجب أن تعقل آلتها دائماً التى كانت تعقل لوصول الصورة إليها . وإنْ كان لوجود صورة غير تلك الصورة ، فإنَّ المغايرة بين أشياء تدخل فى حدٍّ واحدٍ ، إما لاختلاف المواد والأحوال والأعراض ، وإما لاختلاف ما بين الكلى والجزئى ، والمجرد عن المادة والموجود فى المادة . وليس ها هنا اختلافُ موادٍ وأعراض ، فإنَّ المادةَ واحدةٌ والأعراضَ واحدة . وليس ها هنا اختلافُ التجريدِ والوجودِ فى المادة ، فإنَّ كليهما فى المادة. وليس ها هنا اختلافُ الخصوصِ والعموم ، لأنَّ أحدهما إنما يستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية ، واللواحق التى تلحقها من جهة المادة التى فيها ؛ وهذا المعنى لا يختص بأحدهما دون الآخر . وأما ذات النفس فإنها تُدْرك دائماً وجودَها لأشياء من الأجسام التى معها وفيها ، ولا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى معقولة غير صورة آلتها ، فإنَّ هذا أشدُّ استحالةً ، لأنَّ الصورةَ المعقولة إذا حلت الجوهر العاقل جعلته عاقلا ، لما تلك الصورة صورته ، أو لما تلك الصورة مضافة إليه ، فتكون صورة المضاف داخلةً فى هذه الصورة ، وهذه الصورة المعقولة ليست صورةَ هذه الآلة ، ولا أيضاً صورةَ شىء مضاف إليها بالذات ، لأنَّ ذات هذه الآلة جوهر . ونحن إنما نأخذ ونعتبر صورة ذاته ، والجوهر فى ذاته غير مضاف ألبتة .

فهذا برهان عظيم على أنه لا يجوز أنْ يُدرك المدرك آلةً هى آلته فى الإدراك . ولهذا كان الحسُّ إنما يحسُّ شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ، ولا آلته ، ولا إحساسه . وكذلك

---

(١) تعقل آلتها : تعقل آلتها ذاتها .

(٥) والأعراض واحدة : والعرض واحد ب ، س .

(٦) الجزئية : التجزئه هـ (٦ ، ٧) بسبب المادة الجزئية : ساقطة من س (٧) دون : غير ب ؛ عن س ، ه ، هـ .

(٨) وأما . . . وفيها : ساقطة من س || وفيها : وبها ع .

(١٠) العاقل : القابل ب || لما : + فى ع || أو لما : ولما هـ .

(١٤) برهان : + بين ع ، هـ || آلة هى : لكن هو ع .

(١٥) كان : فإن هـ || ولا آلته : + ولا إحساسه ب ، س .

الخيال لا يتخيل ذاته ، ولا فعله ، ولا آلته . بل إنْ تخيَّل آلته تخيلها لا على نحوٍ يخصها بأنه لا محالة له دون غيره ، إلا أنْ يكون الحس يورد عليه صورة آلته لو أمكن ، فيكون حينئذ إنما يحكى خيالا مأخوذاً من الحس غيرَ مضافٍ عنده إلى شيء ، حتى لو لم يكن ألبتة كذلك لم يتخيله .

وأيضاً مما يشهد لنا بهذا ، ونقنع فيه ، أنَّ القوى الدرَّاكة بانطباع الصور فى الآلات يعرض لها من إدامة العمل أنْ تكل ، لأجل أنَّ الآلات تكلها إدامة الحركة ، وتفسد مزاجَها الذى هو جوهرها وطبيعتها . والأمور القوية الشاقة الإدراك توهنها ، وربما أفسدتها ، حتى لا تدرك وراءها الأضعف منها ، لانغماسها فى الانفعال عن الشاق كما فى الحس ، فإنَّ المحسوسات الشاقة والمتكررة تضعفه ، وربما أفسدته ، كالضوء القوى للبصر ، والرعد الشديد للسمع . وعند إدراك القوى لا تقوى على إدراك الضعيف ، فإنَّ المُبْصرَ ضوءا عظيما ، لا يُبْصِر معه ولا عقيبه ضوءا ضعيفاً ؛ والسامعَ صوتاً لا يسمع معه ولا عقيبه صوتاً ضعيفاً . ومَنْ ذاق الحلاوة الشديدة لا يحس بعدها بالضعيفة .

والأمر فى القوة العقلية بالعكس ، فإنَّ إدامتها للتعقل ، وتصورها للأمر الأقوى ، يكسبها قوةً وسهولةَ قبول لما بعدها مما هو أضعف منها ، فإنْ عَرَضَ لها فى بعض الأوقات

---

(١) تخيل : كان يتخيل ه || تخيلها : تخيله س || يخصها : يخصه ع .
(٢) بأنه : فإنه ع ، س || محالة : محل ع .
(٣) من : عن ه .
(٥) ونقنع : أو نقنع ع .
(٦) لأجل أن : لأجل ب .
(٨) حتى : وحتى ب ، ه .
(٩) والمتكررة : المتكررة ب || القوى : الشديد ب ؛ ساقطة من س ، ه .
(١١) ضوءاً ضعيفاً : نوراً ضعيفاً س || صوتاً : + عظيماً ه || ولا عقيبه : وعقيبه س .
(١٣) للتعقل : للعقل ع ؛ للفعل س || الأقوى : القوى ه || للأمر الأقوى : للأمور والقوى س .
(١٤) فإن عرض لها : وإن عرض له س .

ملالٌ وكلالٌ ، فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للآلة التى تكل هى ، فلا تخدم العقل. ولو كان لغير هذا لكان يقع دائماً ، وفى أكثر الأحوال ، والأمر بالضد .

وأيضاً فإنَّ البدن تأخذ أجزاؤه كلها تضعف قواها بعد منتهى النشوء والوقوف ، وذلك دون الأربعين أو عند الأربعين . وهذه القوة إنما تقوى بعد ذلك فى أكثر الأمر ؛ ولو كانت من القوى البدنية لكان يجب دائماً وفى كل حال أنْ تضعف حينئذ . لكن ليس يجب ذلك ، إلا فى أحوالٍ وموافاة عوائق دون جميع الأحوال ، فليست إذن من القوى البدنية .

ومن هذه الأشياء يتبين أنَّ كلَّ قوة تدرك بآلة ، فلا تدرك ذاتها ولا آلتها ولا إدراكها ، ويضعفها تضاعف الفعل ، ولا تدرك الضعيفَ إثرَ القوى ، والقوى يوهنها ، وعند ضعف الآلات يضعف فعلها . والقوة العقلية بخلاف ذلك كله .

وأما الذى يُتَوهم من أنَّ النفس تنسى [معقولاتها] ، ولا تفعل فعلها مع مرض البدن ، وعند الشيخوخة ، وأنَّ ذلك لها بسبب أنَّ فعلها لا يتم إلا بالبدن ، فظنٌ غير

---

(١) فلا : ولا ب .
(٢) وفى : فى ب ، س || والأمر : الأمر هـ .
(٣) البدن : + الواحد هـ .
(٥) القوى : القوة ب || لكان : فكان ع .
(٦) إلا . . . الأحوال : ساقطة من ع ، س ، هـ .
(٧) البدنية : فى النجاة عنوان : سؤال وشرح شاف للاجابة عنه .
(٨ ، ١٠) ومن . . . كله : ساقطة من النجاة .
(٨) ولا آلتها : ساقطة من ب .
(٩) تضاعف : تضعيف س .
(١٠) وعند : عند ع || يضعف : لضعف ع || العقلية : العملية ب || كله : كلية ب .
(١١) معقولاتها : زيادة فى هـ || تفعل : تعقل ب ، ع .
(١٢) وأن : فإن ب ، ع .

ضرورى ولاحقٌ . وذلك أنه بعد ما صحَّ لنا أنَّ النفس تعقل بذاتها يجب أن نطلب العلة فى هذا . فإنْ كان يمكن أنْ يجتمع أنَّ للنفس فعلاً بذاتها ، وأنها أيضاً تترك فعلها مع أمر البدن ولا تفعل من غير تناقض ، فليس لهذا الاعتراض اعتبار ؛ فنقول :

إنَّ النفس لها فعلان : فعلٌ لها بالقياس إلى البدن وهو السياسة ، وفعلٌ لها بالقياس إلى ذاتها وإلى مبادئها ، وهو التعقل ؛ وهما متعاندان متمانعان ، فإنها إذا اشتغلت بأحدهما انصرفت عن الآخر ، ويصعب عليها الجمع بين الأمرين . وشواغلها من جهة البدن الإحساس ، والتخيل ، والشهوات ، والغضب والخوف ، والغم والوجع .

وأنت تعلم هذا بأنك إذا أخذت تفكر فى المعقول تعطل عليك كل شىء من هذه ، إلا أنْ تغلب أو تقسر النفسَ بالرجوع إلى جهتها .

وأنت تعلم أنَّ الحس يمنع النفس عن التعقل ، [فإنَّ النفس] إذا أكبت على المحسوس ، شغلت عن المعقول ، من غير أنْ يكون أصاب آلةَ العقلِ أو ذاتها آفةٌ بوجه . وتعلم أنَّ السببَ فى ذلك هو اشتغال النفس بفعلٍ دون فعلٍ ؛ فلهذا السبب ما تتعطل أفعال العقل عند المرض . ولو كانت الصور المعقولة قد بطلت وفسدت لأجل الآلة ، لكان رجوع

(١) لنا : ساقطة من ب .
(٢) هذا : + العارض المشكك ه || فإن : فإنه ع || مع : من ب .
(٤) النفس لها : النفس له س || فعل لها : فعل له س || وفعل لها : وفعل س .
(٥) ذاتها وإلى مبادئها : ذاته وإلى مبادئه ه || فانها إذا اشتغلت : فانه إذا اشتغل ع ، س ، ه .
(٦) انصرفت : انصرف ع ، س ، ه || عليها : عليه ع ، س ، ه || وشواغلها : وشواغله ع ، س ، ه .
(٧) والوجع : والجوع س .
(٨) بأنك : أنك ع || المعقول : معقول ع ، س || هذه : هذا ع .
(١٠) فان النفس : زيادة من ه .
(١١) شغلت عن المعقول : ساقطة من ع ، س ، ه .
(١٣) ولو : فلو ع || الصور : الصورة ب .

الآلة إلى حالها يُحْوج إلى اكتسابٍ من الرأس ؛ وليس الأمر كذلك ، فإنه قد تعود النفسُ عاقلةً لجميع ما عقلته بحاله . فقد كانت إذن كلها معها ، إلا أنها كانت مشغولة عنه . وليس اختلاف جهتى فعل النفس فقط يوجب فى أفعالها التمانع ، بل تكثُّرُ أفعالِ جهةٍ واحدةٍ قد يوجب هذا بعينه ؛ فإنَّ الخوفَ يُغفل عن الوجع ، والشهوةَ تصد عن الغضب ، والغضبَ يصرف عن الخوف . والسببُ فى جميع ذلك واحدٌ ، وهو انصراف النفس بالكلية إلى أمرٍ واحدٍ . فإذن ليس يجب إذا لم يفعل شيءٌ فعلَه عند اشتغاله بشيء أنْ لا يكون فاعلا فعله إلا عند وجود ذلك الشيء .

ولنا أنْ نتوسع فى بيان هذا الباب ، إلا أنَّ بلوغ الكفاية يُسَبِّب الازدياد إلى تكلف ما يُحْتاج إليه .

وقد ظهر من أصولنا التى قررناها أنَّ النفسَ ليست منطبعةً فى البدن ، ولا قائمةً به فيجب أنْ يكون سبيلُ اختصاصها به سبيلَ مقتضى هيئةٍ فيها جزئية جاذبةٍ إلى الاشتغال بسياسة هذا البدن الجزئى ، على سبيل عنايةٍ ذاتيةٍ مختصة به .

---

(١) الرأس : الرأى ع .

(٢) بحاله : بحالها ب .

(٣) التمانع : التباين هامش ع || تكثر : يكون س .

(٤) قد : وقد ع || يغفل عن الوجع : يشغل عن الجوع ه .

(٦) اشتغاله : + بحالة ب ، س .

(١٠) أصولنا : أحوالها ب ؛ أصوله ع || قررناها : قررنا ب ؛ قدرنا س || به : ساقطة من ب .

(١١) الاشتغال : الاستعداد ب .

الفصل الثامن

في أن حدوثها مع حدوث البدن

نقول : إنَّ الأنفس الإنسانية متفقةٌ في النوع والمعنى ؛ فإنْ وُجِدت قبل البدن ، فإما أن تكون متكثرةَ الذوات ، أو تكون ذاتاً واحدة . ومحالٌ أنْ تكونَ متكثرة الذوات ، ومحال أن تكون ذاتاً واحدة ، على ما تبيَّن ، فمحالٌ أنْ تكون قد وجدت قبل البدن . فنبدأ ببيان استحالة تكثرها بالعدد ، فنقول :

إنَّ مغايرةَ الأنفس ـ قبل الأبدان ـ بعضها لبعض ، إمَّا أنْ يكون من جهة الماهية والصورة ، وإمَّا أنْ يكون من جهة النسبة إلى العنصر ؛ والمادة متكثرةٌ بالأمكنة التي تشتمل كلُّ مادةٍ على جهة ، والأزمنةِ التي تختص بكل واحد منها في حدوثها في مادتها ، والعللِ القاسمة لمادتها ؛ وليست متغايرة بالماهية والصورة ، لأنَّ صورتَها واحدةٌ . فإذن إنما تتغاير من جهة قابل الماهية ، أو المنسوب إليه الماهية بالاختصاص ، وهو البدن .

وأما قبل البدن ، فالنفس مجرد ماهيةٍ فقط ، فليس يمكن أنْ تغايرَ نفسٌ نفساً بالعدد.

---

(٢) العنوان ساقط من س ؛ إثبات حدوث النفس هـ .
(٣) الأنفس : النفس ع .
(٤) الذوات : الذات هـ .
(٩) تشتمل : تشمل ع ، س || حدوثها : حدوثه س ، هـ || مادتها : مادته ع ، س ، هـ .
(١٠) لمادتها : لمادته ع ، س ، هـ || متغايرة : مغايرة ع .
(١١) الماهية : الماهيات س || وهو : وهذا هو هـ .

والماهية لا تقبل اختلافاً ذاتياً ، وهذا مطلقٌ فى كل شىء ، فإنَّ الأشياء التى ذواتها معانٍ فقط ، فتكثُّر نوعياتها إنما هو بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها ؛ وإذا كانت مجردةً أصلا لم تنفرد بما قلنا ، فمحال أن يكون بينها مغايرة وتكاثر . فقد بطل أنْ تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان متكثرةَ الذات بالعدد .

وأقول : لا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد لأنه إذا حصل بدنان ، حصل فى البدنين نفسان ؛ فإمَّا أنْ يكونا قِسْمى تلك النفس الواحدة ، فيكون الشىء الواحد الذى ليس له عظم وحجم منقسماً بالقوة ، وهذا ظاهرُ البطلان بالأصول المتقررة فى الطبيعيات ؛ وإمَّا أن تكون النفس الواحدة بالعدد فى بدنين ، وهذا لا يحتاج إلى كثير تكلفٍ فى إبطاله . فقد صحَّ إذن أنَّ النفس تحدث كلما يحدث البدن الصالح لاستعمالها إياه ، ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ، ويكون فى جوهر النفس الحادثة مع بدن ما . ذلك البدنُ استحقته بنزاع طبيعى إلى الاشتغال به ، واستعماله ، والاهتمام بأحواله ، والانجذاب إليه ،

---

(١) والماهية لا : وأما ماهيته واحدة فلا ع ؛ وأما ماهيته لا س || والماهية ... ذاتياً : ساقطة من ﻫ || معان : تتغاير ع .

(٢) فقط : ساقطة من ب ، س || فتكثر : فتكون س || أصلا : ساقطة من ﻫ (٢ ، ٣) أصلا ... قلنا : ساقطة من ع ، س .

(٤) الذات : الذوات ب .

(٥) لا : ولا ﻫ || بدنان حصل : بدنان حصلت ب .

(٦) الواحدة : ساقطة من ب ، ع .

(٧) المتقررة : المقررة ب .

(٨) النفس الواحدة : الأنفس واحدة ﻫ || الواحدة : واحدة ع ، س || يحتاج : + أصلا ﻫ .

(٩) إياه : + أو لاستعماله لها ع .

(١٠) مملكتها وآلتها : مملكته وآلته ع ، س .

(١١) استحقته بنزاع طبيعى : الذى استحق حدوثها من المبادئ الأولية نزاع طبيعى س ، ﻫ .

يخصه ويصرفه عن كل الاجسام غيره . فلا بد أنها إذا وجدت متشخصةً فإنّ مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعيّنُ به شخصاً ؛ وهذه الهيئات تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلاح أحدهما للآخر [وإن خفي علينا تلك الحال وتلك المناسبة] وتكون مبادئ الاستكمال متوقعاً لها بوساطته ، وهو بدنها بالطبع لا بوساطته .

٥ وأما بعد مفارقة البدن فإنّ الأنفس تكون قد وجدت كل واحدة منها ذاتاً منفردة باختلاف موادها التي كانت ، وباختلاف أزمنة حدوثها ، واختلاف هيئاتها التي لها بحسب أبدانها المختلفة لا محالة بأحوالها .

(١ ، ٤) فلا بد ... بوساطته : ساقطة من ح ، س (٣) وإن خفي علينا تلك الحال وتلك المناسبة : زيادة من ه

(٥) واحدة : واحد ب ، س .

(٦) لها : بها ب .

الفصل التاسع
فى بقائها

أماَّ أنها لاتموت بموت البدن ، فلأنَّ كلَّ شىء يفسد بفساد شىء آخر ، فهو متعلق به نوعاً من التعلق ؛ وكل متعلق بشىء آخر نوعاً من التعلق ، فإمَّا أنْ يكون تعلقه به تعلق المكافىء فى الوجود ، وإمَّا أن يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه فى الوجود ، وإمَّا أنْ يكون تعلقه به تعلقَ المتقدم له فى الوجود الذى هو قبله بالذات لا بالزمان .

فإنْ كان تعلقُ النفس بالبدن تعلقَ المكافىء فى الوجود ، وذلك أمرٌ ذاتى له لا عارض ، وكلٌّ واحدٍ منهما مضافُ الذات إلى صاحبه ، فليس لا النفس ولا البدن بجوهر ، لكنهما جوهران ؛ وإن كان ذلك أمراً عرضيا لا ذاتيا ، فإذا فسد أحدهما بطل العارض الآخر من الإضافة ، ولم تفسد الذات بفساده .

وإن كان تعلقه به تعلقَ المتأخر عنه فى الوجود ، فالبدن علةٌ للنفس فى الوجود ؛ والعلل أربع : فإمَّا أنْ يكون البدن علةً فاعليةً للنفس معطيةً لها الوجود ، وإما أنْ يكون علة

---

(٤) وكل ... التعلق : ساقطة من ﻫ .
(٦) بالذات لا بالزمان : فى الذات لا فى الزمان ع ، س .
(٧) له : ساقطة من س .
(٨) وكل : فكل ب .
(٩) وإن : وإذا ب || فإذا : فإن ع ، س .
(١١) للنفس : النفس ب .
(١٢) البدن : ساقطة من ب || فإما . . . الوجود : ساقطة من ﻫ .

قابليةً لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان ، أو بسبيل البساطة كالنحاس للصنم ؛ وإما أن يكون علةً صوريةً ؛ وإما أنْ يكون علة كمالية . ومحال أن يكون علةً فاعليـة ، فإنَّ الجسم ـ بما هو جسم ـ لا يفعل شيئا ، وإنما يفعل بقواه ؛ ولو كان يفعل بذاته لا بقواه ، لكان كلُّ جسمٍ يفعل ذلك الفعل . ثم القوى الجسمانية كلها إمَّا أعراضٌ ، وإمَّا صورٌ مادية ، ومحالٌ أنْ تفيد الأعراض أو الصور القائمة بالموادوجود ذات قائمة بنفسها لا فى مادة ، ووجودَ جوهرٍ مطلق ؛ ومحال أيضا أن تكون علةً قابلية .

فقد بيَّنا وبرهنا أنَّ النفس ليست منطبعة فى البدن بوجه من الوجوه ، فلا يكون إذن البدن متصورا بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا على [سبيل] التركيب ، بأن يكون جزء من أجزاء النفس يتركب ويمتزج تركيبا مَّا ومزاجا مَّا ، فتنطبع فيه النفس .

ومحال أنْ يكون علةً صوريةً للنفس ، أو كاليةً ؛ فإنَّ الأولى أنْ يكون الأمر بالعكس . فإذن ليس تعلق النفس بالبدن تعلقَ معلولٍ بعلةٍ ذاتية . نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس ، فإنه إذا حدث بدنٌ يصلح أن يكون آلة النفس ، ومملكةً لها ، أحدثت العللُ المفارقة النفسَ الجزئية ، أو حدثت عنها تلك ، فإنَّ إحداثها بلا سبب يخصص إحداث واحدٍ دون واحدٍ ، ويمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ، لما قد بيناه . ولأنه لا بد لكل كائن بعد أنْ لم يكن من أنْ تتقدمه مادةٌ يكونُ فيها تهيؤ قبوله ، أو تهيؤ نسبته

---

(٣) بما : لما ع || بقواه : بقوته ع .
(٤) الفعل : ساقطة من هـ .
(٧) فقد بينا وبرهنا : فقد برهنا على استحالة هذا وبينا س .
(٨) بصورة : تصور س || سبيل : زيادة من هـ .
(٩) النفس : البدن هـ || يتركب ... النفس : فتحدث النفس ع ، س .
(١٢) بدن : البدن هـ || لها : له ع ، س ، هـ .
(١٣) النفس : للنفس ع ، س || حدثت عنها تلك : حدث عنها ذلك هـ .
(١٥) بعد أن : بعد ما ع || نسبته للنسبة ب .

إليه ، كما تبيَّن فى العلوم الأخرى . ولأنه لو كان يجوز أيضا أنْ تكون نفسٌ جزئية تحدث ، ولم يحدث لها آلةٌ بها تستكمل وتفعل ، لكانت معطلةَ الوجودِ ؛ ولا شىء معطلٌ فى الطبيعة . ولكن إذا حدث التهيؤ للنسبة والاستعداد للآلة ، يلزم حينئذٍ أنْ يحدث من العلل المفارقة شىء هو النفس . وليس إذا وجب حدوث شىء من حدوث شىء ، وجب أنْ يبطل مع بطلانه ؛ إنما يكون ذلك إذا كانت ذات الشىء قائمة بذلك الشىء وفيه .

وقد تحدث أمورٌ عن أمور ، وتبطل تلك الأمور ، وتبقى تلك الأمور إذا كانت ذواتها غيرَ قائمةٍ فيها ، وخصوصا إذا كان مفيدَ الوجود لها شىءٌ آخرُ غير الذى إنما تهيأ أفاده وجودها مع وجوده . ومفيد وجود النفس شىءٌ غير جسم ، كما بيَّنا ، ولا قوة فى جسم ، بل هو لا محالة جوهرٌ أيضا غير جسم . فإذا كان وجوده من ذلك الشىء ومن البدن يحصل وقت استحقاقه للوجود فقط ، فليس له تعلقٌ فى نفس الوجود بالبدن ، ولا البدن علةٌ له إلا بالعرض ، فلا يجوز إذن أنْ يُقال إنَّ التعلق بينهما على نحوٍ يوجب أنْ يكونَ الجسمُ متقدماً تقدم العلية بالذات على النفس .

وأمَّا القسم الثالث مما كنا ذكرنا فى الابتداء ، وهو أنْ يكون تعلق النفس بالجسم تعلقَ المتقدم فى الوجود ، فإما أنْ يكون التقدم مع ذلك زمانيا ، فيستحيل أن يتعلق

---

(١) الأخرى : الأخروية ع ؛ الأخر ﻫ || ولأنه : ولأنها ع .
(٤) وجب : ساقطة من ب .
(٥) مع بطلانه : ببطلانه ب || كانت : كان ﻫ .
(٦) عن : غير ع || ذواتها : ذاتها ع ، س .
(٧) إنما : إنها ع || وجودها : وجوده س ، ﻫ .
(٨) ولا قوة : ولا هى قوة ع .
(٩) أيضاً : آخر ب .
(١١ ، ١٢) متقدماً تقدم العلية بالذات : متقدم الذات س (١٢) العلية بالذات : الذات ع .
(١٣) كنا : ساقطة من ب .
(١٤) المتقدم : المقدم ﻫ || أن يتعلق : عليه تعلق ﻫ .

وجوده به ، وقد تقدمه فى الزمان ؛ و إمّا أنْ يكون التقدم فى الذات لا فى الزمان، لأنه فى الزمان لا يفارقه . وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات المتقدمة كلما وُجـد يلزم أن يُستفاد عنها ذات المتأخـر فى الوجود ، وحينئذ لا يوجد أيضا هذا المتقدم فى الوجود ، إذا فُرِض المتأخر قد عُدِم ، لا أنَّ فرضَ عدم المتأخر أوجب عدمَ المتقدم ، ولـكن لأنَّ المتأخر لا يجوز أن يكون عُدِم إلا وقد عرض أولا بالطبع للمتقدم ما أعدمه ، فحينئذ عدم المتأخر . فليس فرضُ عدم المتأخر يوجب عدم المتقدم ؛ ولـكن فُرِض عدم المتقدم نفسه ، لأنه إنما افترض المتأخر معدوما ، بعد أن عرض للمتقدم أن عُدِم فى نفسه . و إذا كان كذلك فيجب أن يكون السبب المتقدم يعرض فى جوهر النفس فيفسد معه البدن ، وأن لا يكون البدن ألبتة يفسد بسببٍ يخُصه ، لـكن فساد البدن يكون بسببٍ يخصه من تغيّر المزاج أو التركيب . فباطلٌ أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات ، ثم يفسد البدن ألبتة بسبب فى نفسه . فليس إذن بينهما هذا التعلق .

فإذا كان الأمر على هـذا ، فقد بطل أنحاء التعلق كلها ، و بقى أن لا تعلق للنفس فى الوجود بالبدن ، بل تعلقه فى الوجود بالمبادىء الأخر التى لا تستحيل ولا تبطل .

---

(٢) التقدم : المتقدم ع || كلما : كما ع ، س || يلزم : + غير ع .
(٣) وحينئذ : فحينئذ ع || أيضاً : ساقطة من ب || المتقدم : التقدم س .
(٤) عدم المتقدم : عدم هذا المتقدم س .
(٥) عدم : عدما ع .
(٦) نفسه : بنفسه س .
(٨) المتقدم : المعدم : ب ، س ؛ المقدم ه .
(٩) يكون : ساقطة من ع ، س ، ه .
(١٠) يفسد : + المزاج ع .
(١١) بسبب فى نفسه : ساقطة من ع ، س .
(١٢) فإذا : وإذا ع ، س || بطل : بطلت س .

وأقول أيضا : إنَّ شيئا آخر لا يعدم النفس ألبتة ؛ وذلك أنَّ كلَّ شيء من شأنه أن يفسد بسببٍ مَّا ففيه قوةُ أنْ يفسد ، وقبل الفساد ففيه فعلُ أنْ يبقى . ومحالٌ أنْ يكون من جهةٍ واحدةٍ وفى شيء واحد قوةُ أن يفسد وفعلُ أن يبقى ، بل تهيؤه للفساد ليس بفعله أن يبقى ؛ فإنَّ معنى القوة مغايرٌ لمعنى الفعل ، وإضافة هذه القوة مغايرةٌ لإضافة هذا الفعل ، لأنَّ إضافةَ ذلك إلى الفساد ، وإضافةَ هذا إلى البقاء ؛ فإذن لأمرين مختلفين فى الشيء يوجد هذان المعنيان ، فنقول : إنَّ الأشياء المركبة والأشياء البسيطة التى هى قائمة فى المركبة ، يجوز أن يجتمع فيها فعلُ أنْ يبقى ، وقوةُ أنْ يفسد ؛ وفى الأشياء البسيطة المفارقة الذات ، فلا يجوز أن يجتمع هذان الأمران .

وأقول بوجه مطلق : إنه لا يجوز أنْ يجتمع فى شيء أحدىَّ الذات هذان المعنيان ؛ وذلك لأنَّ كلَّ شيء يبقى وله قوةُ أن يفسد ، فله أيضا قوةُ أن يبقى ، لأن بقاءه ليس بواجبٍ ضرورى . وإذا لم يكن واجبا كان ممكنا ؛ والإمكان هو طبيعة القوة ؛ فإذن يكون له فى جوهره قوة أن يبقى ، وفعل أن يبقى لا محالة ليس هو قوة أن يبقى منه ؛ وهذا بيِّنٌ . فيكون إذن فعل أنْ يبقى منه أمراً يعرض للشيء الذى له قوة أن يبقى منه . فتلك القوة لا تكون لذات مَّا بالفعل ، بل للشيء الذى يعرض لذاته أن يبقى بالفعل ، لا بوجود ذاته ،

---

(١) شيئاً : سبباً ب ، س .
(٢) ففيه : فيه ب ، س .
(٣) واحدة : ساقطة من ب .
(٤) بفعله : لفعله ح ، س || فإن : فإذن ح .
(٩) وأقول : فأقول ح .
(١٠) فله : وله ح .
(١٣) أمراً : أمر ب ، ح .
(١٤) لذاته : له ح ، س .

فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبةً من شيء إذا [وجد له] كان به ذاته موجودا بالفعل ، وهو الصورة فى كل شيء ، وعن شيء حصل له هـذا الفعل ، وفى طباعه قوته ، وهو مادته . فإنْ كانت النفسُ بسيطةً مطلقةً لم تنقسم إلى مادة وصورة ، وإنْ كانت مركبةً ، فلنترك المركب ولننظر فى الجوهر الذى هو مادته ، ولنصرف القول إلى نفس مادته ، ولنتكلم فيها ، فنقول :

إنَّ تلك المادة إما أن تنقسم هكذا دائما ، ويثبت الكلام دائما ، وهذا محالٌ . وإما أنْ لا يبطل الشيء الذى هو الجوهر والسنخ ، وكلامنا فى هذا الشيء الذى هو السنخ والأصل ، لا فى شيء مجتمع منه ومن شيء آخر . فبيِّنٌ أنَّ كلَّ شيء هو بسيطٌ غير مركب أو هـو أصل مركب وسنخه ، فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يفسد بالقياس إلى ذاته . فإن كانت فيه قوة أن يفسد ، فمحال أن يكون فيه فعلُ أن يبقى ، وإذا كان فيه فعل أن يبقى وأن يوجد ، فليس فيه قوةُ أن يُعدم . فبيِّنٌ إذن أنَّ جوهرَ النفس ليس فيه قوةُ أن يفسد .

وأمَّا الكائنات التى تفسد ، فإنَّ الفاسد منها هو المركب المجتمع ؛ وقوة أن يفسد وأن يبقى ليس فى المعنى الذى به المركب واحدٌ ، بل فى المادة التى هى بالقوة قابلةٌ كلا الضدين ؛

---

(١) وجد له : زيادة فى ه || موجوداً : موجودة ع .
(٣) وصورة : + فلم تقبل الفساد ه .
(٥) فنقول : ونقول ب ، س .
(٧) الشيء الذى هو : ساقطة من س .
(٨) مجتمع : بجمع ع .
(٩) يفسد : يعدم ع || فإن : فإذا ع .
(١٠) يفسد : يعدم ب ، ع .
(١٣) وأن : وقوة أن س .
(١٤) هى : مادة س .

فليس إذن فى الفاسد المركب لا قوة أن يبقى ، ولا قوة أن يفسد ، فلم يجتمعا فيه .

وأما المادة فإمَّا أنْ تكون باقية لا بقوة تستعد بها للبقاء ، كما ظن قومٌ ؛ وإمَّا أن تكون باقيةً بقوة بها تبقى ، وليس لها قوة أن تفسد ، بل قوة أن تفسد شىء آخر فيها يحدث . والبسائط التى فى المادة فإنَّ قوةَ فسادها هو فى المادة لا فى جوهرها . والبرهان الذى يوجب أنَّ كلَّ كائنٍ فاسدٌ من جهة تناهى قوتىْ البقاء والبطلان ، إنما يوجب فيما كونه من مادة وصورة ؛ ويكون فى المادة قوة أن تبقى فيه هذه الصورة ، وقوة أن تفسد هى فيه معاً . فقد بان إذن أنَّ النفس ألبتة لا تفسد .

وإلى هذا سقنا كلامنا ؛ والله الموفق .

---

(٢) ظن : يظن ح .

(٤) فى المادة : للمادة ب ، س .

(٥) كائن : ساقطة من ه || تناهى : التناهى س || قوتى : قوة ح .

(٦) أن تبقى : وأن تبقى س || فقد : قد س .

(٨) والله الموفق : ساقطة من س ، ه .

الفصل العاشر

فى إبطال التناسخ

قد أوضحنا أنَّ النفسَ إنما حدثت وتكثَّرت مع تهيؤ الأبدان ؛ على أنَّ تهيؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة لها ، وظهر من ذلك أنَّ هذا يكون لا على سبيل الاتفاق والبخت ، حتى يكون ليس وجود النفس الحادثة لاستحقاق هذا المزاج نفساً مدبرةً حادثةً ، ولكن كان يوجد نفسٌ واتفق أنْ يكون وجد معها بدنٌ ، فحينئذ لا يكون للتكثر علةٌ ذاتية ألبتة ، بل عرضية . وقد عرفنا أنَّ العلل الذاتية هى أولا ، ثم العرضية . فإذا كان كذلك فكل بدن يستحق مع حدوث مزاجه حدوث نفس له ، وليس بدنٌ يستحقه و بدنٌ لا يستحقه ، إذْ أشخاص الأنواع لا تختلف فى الأمور التى بها تتقوَّم . فإذا فرضنا أنَّ نفساً تناسخها أبدانٌ ، وكلُّ بدنٍ فإنه بذاته يستحق نفساً تحدث له ، وتتعلق به ، فيكون البدنُ الواحد فيه نفسان معاً . ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هى على سبيل الانطباع فيه ـ كما قلنا ـ بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفسُ بذلك البدن ، وينفعل

(٢) فى إبطال التناسخ : ساقط من س .
(٣) النفس : الأنفس س ، ه || وتكثرت : وتكونت ب .
(٤) يوجب : موجب ع ، س || يفيض : يقتضى س ، فه ه || لها : بها س || أن : بأن ه .
(٦) مدبرة : تدبره س || يكون وجد معها : وجد معه ب ، س ، ه .
(٧) الذاتية : ساقطة من س .
(٨) فإذا : وإذا ب .
(٩) يستحقه : ساقطة من ع ، ه .
(١١) البدن : للبدن ع || فيه : ساقطة من ع || هى : هو ع ، س .

البدنُ عن تلك النفسَ وكلُّ حيوان فإنه يستشعر نفسَه نفساً واحدة هى المصرفة والمدبرة . فإن كان هناك نفسٌ أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هى بنفسها ، ولا تشتغل بالبدن، فليس لها علاقة مع البدن، لأنَّ العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخٌ بوجه من الوجوه .

وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية ، بعد أنَّ فيه كلاماً طويلا ؛ والله أعلم . ٥

(١) المصرفة : المتصرفة ب ، ه .

(٢) والمدبرة : والمتدبرة ع || ولا هى بنفسها : فلا هو نفسه ع ؛ ولا هو بنفسه س .

(٣) لها : له س .

(٥) والله أعلم : ساقطة من ب ، س ، ه .

الفصل الحادى عشر

فى أن جميع قواها لنفس واحدة

قد ظهر من المباحث النفسانية التى آثرنا أنْ لا نطوِّل بها الرسالة أنَّ القوى النفسانية كلها عن مبدإٍ واحدٍ فى البدن . وهذا الرأى مخالفٌ من الفيلسوف لرأى الإلهى أفلاطون ؛ وفيه موضع شك ، وهو أنَّا نجد القوى النباتية تكون فى النبات ولا نفسَ حساسة ولا نفسَ ناطقة ؛ ويكونان معاً فى الحيوان ، ولا نفسَ ناطقة . فإذن كل واحدةمنها قوة أخرى غير متعلقة بالآخر . والذى يجب أن يُعْرف حتى ينحل به هذا الشك ، أنَّ الأجسام العنصرية يمنعها صرفية التضاد عن قبول الحياة . وكلما أمعنت فى هدم صرف التضاد ، ورَدَّته إلى التوسط الذى لا ضد له ، جعلت تقرب إلى شبه الأجسام السماوية ، فتستحق

---

(٢) فى . . . واحدة : فى أن جميع أنواع النفس واحدة ع ؛ العنوان ساقط من س ؛ فصل فى وحدة النفس له .

(٣) قد : وقد س || ظهر : يظهر ع ، ه || من : فى س ، ه || بها : لها س .

(٤) عن : من ب ، ع .

(٥) شك : + وهو أن هذا الفصل من كتاب النجاة بين الفصل العاشر والحادى عشر من هذه الرسالة . تقول إن النفس ذات واحدة ولها قوى كثيرة ..... [ثم نقلت مخطوطة س الموجود فى النجاة من ص ٣١٠ إلى ص ٣١٣] س .

(٦) ويكونان ... ناطقة : ساقطة من ع ، س ، ه || كل واحدة منها : لكل واحد منها ع ؛ كل واحد منهما س .

(٧) يجب : + علينا ه || هذا الشك : ساقطة من ب .

(٨) وكلما : فكلما ع ، س .

(٩) تقرب : تصرف ب ، ع .

بذلك القـدر لقبول قوى محيية من الجوهر المفارق المدبر . ثم إذا ازدادت قربا من التوسط ازدادت قبولَ حياةٍ ، حتى تبلغ الغايةَ التى لايمكن أن يكون أقربَ منها إلى التوسط ، وأهدمَ للطرفين المتضادين ، فتقبل جوهرا مقارب الشبه من وجهٍ مّا للجوهر المفارق ، كما قبلته الجواهر السماوية ، فيكون حينئذ ما كان يحدث فيه قبل وجوده ، يحدث فيه منه ومن هذا الجوهر .

ومثال هذا فى الطبيعيات أن تتوهم مكانَ الجوهر المفارق ناراً ، بل شمساً ، ومكانَ البدن جِرْماً يتأثر عن النار ؛ وليـكن كوّةً مّا ، وليـكن مكان النفس النباتية تسخينها إياه ، ومكان النفس الحيوانية إنارتها له ، ومكان النفس الإنسانية إشعالها فيه ناراً . فنقول:

إنَّ ذلك الجرم المتأثر كالـكوة ، إنْ كان ليس وضعهُ من ذلك المؤثر فيه وضعاً يقبل إضاءته ، و إنارته ، و يشتعل شىء فيه عنه ، ولـكنه وضعاً يقبل تسخينه ، لم يقبل غير ذلك. فإن كان وضعهُ وضعاً يقبل تسـخينه ، ومع ذلك فهو مكشوف له ، أو مستشف ، أو على نسبة إليه يستنير عنه استنارةً قوية ، فإنه يسخن عنه و يستضىء معاً ، فيـكون الضوء الواقع فيه منه هو مبدأ أيضاً مع ذلك المفارق لتسخينه ؛ فإنَّ الشمس إنما تُسَخِّنُ بالشعاع . ثم إنْ

---

(١) لقبول : وقبول ع .
(٣) مقارب : مفارق س .
(٤) قبلته الجواهر : للجواهر ع .
(٦) ومثال : مثال ع || فى : ساقطة من هـ || أن تتوهم : لتتوهم ع ، س .
(٧) كوة : ككوة ب ؛ كوما له .
(٨) إياه : إياها ع || له : فيها ب ، هـ ؛ منها ع || إشعالها : اشتعالها ب || فيه : منها هـ .
(٩) الجرم : الجسم ب || كالـكوة : فى الـكوة ع .
(١٠) فيه : منه ب || ولـكنه : ولـكن ع . س ، هـ .
(١١) فإن : وإن ب || ومع : وهو مع هـ || فهو : ساقطة من هـ (١١ ، ١٢) أو على نسبة : بنسبة ع (١٢) فيكون : ويكون ع ، س هـ .
(١٣) فيه : عنه ب || لتسخينه : تسخينه ع ؛ وتسخينه س || بالشعاع : بالشمس ب .

كان الاستعدادُ أشدّ ، وهناك ما من شأنه أنْ يشتعل عن المؤثر الذى من شأنه أن يحرق بقوته أو شعاعه ، اشتعل فأحدثت الشعلة جِرْماً شبيهاً بالمفارق من وجهٍ . ثم تلك الشعلة أيضاً تكون مع المفارق علةً للتنوير والتسخين معاً . ومع هذا فقد كان يمكن أن يوجد التسخين وحده ، أو التسخين والتنوير وحدها ، وليس المتأخر عنهما مبدأ يفيض عنه المتقدم، وكان إذا اجتمعت الجملة يصير حينئذ كل ما فُرِض متأخراً مبدأً أيضاً للمتقدم ، وفائضاً عنه المتقدم .

فهكذا فليتصور فى القوى النفسانية ؛ والله الموفق .

---

(٢) أو شعاعه : وشعاعه ﻫ || فأحدثت : فحدثت ب .

(٣) معاً : + ولو بقيت وحدها لاستمر التسخين والتنوير ه

(٤) يفيض : يقتضى ح ، ﻫ .

(٥) اجتمعت : جمعت ح ، س .

(٧) والله الموفق : ساقطة من ح ؛ والله الهادى س .

الفصل الثانى عشر

فى خروج العقل النظرى إلى الفعل

قد صح لنا أنَّ وجود النفس مع البدن ، وليس حدوثها عن جسم ، بل عن جوهر هو صورة غير جسمية ، فنقول :

إنَّ القوة النظرية فيه أيضا تخرج من القوة إلى الفعل بإنارة جوهر هذا شأنه عليه ؛ وذلك لأنَّ الشيء لا يخرج من ذاته إلى الفعل إلا بشيء يُفيده الفعل ؛ وهـذا الفعل الذى يفيده هو صور المعقولات . فإذن هاهنا شيء يفيد النفس ، و يطبع فيها من جوهره صور المعقولات ، فذات هذا الشيء لا محالة عنده صور المعقولات ، وهذا الشيء إذن بذاته عقل . ولو كان بالقوة عقلا ، لامتد الأمر إلى غير نهاية ، وهذا محالٌ ؛ أو وقف عند شيء هو بجوهره عقلٌ ، وكان هو السبب لـكل ما هو بالقوة عقل فى أن يصير بالفعل عقلا ، فكان يكفى وحده سبباً لإخراج العقول من القوة إلى الفعل وهـذا الشيء يسمى بالقياس إلى العقول التى بالقوة ، وتخرج منه إلى الفعل ، عقلاً فعالا ، كما يسمى العقل الهيولانى بالقياس إليه عقلا منفعلا ، و يسمى العقل الـكائن فيما بينهما عقلا مستفادا .

(٢) فى . . . الفعل : ساقطة من س ؛ فصل فى الاستدلال بأحوال النفس الناطقة على وجود العقل الفعال وشرحه بوجه ما فيه .

(٦) يفيده : يفيد ع .

(٧) فيها : فيه س || جوهره : جوهر ب ، ع .

(٨) فذات ... المعقولات : ساقطة من س .

(٩) لامتد : لابتدأ ع || الأمر : + فيه ه .

(١٠) لـكل ما : لما ه || فـكان : وكان س || يكفى : ساقطة من ه .

(١٢ ، ١٣) العقل ... منفعلا : ساقطة من س .

ونسبة هذا الشيء إلى أنفسنا ، التي هي بالقوة عقلٌ ، وإلى المعقولات التي هي بالقوة معقولات ، نسبةُ الشمس إلى أبْصارنا التي هي بالقوة رائية ، وإلى الألوان التي هي بالقوة مرئية ، فإنها إذا اتصل أثرها بالمرئيات بالقوة ، وذلك الأثر هو الشعاع ، عادت مرئياتٍ بالفعل ، وعاد البصر رائيا بالفعل . فكذلك هذا العقل الفعَّال تَفيض منه قوةٌ تسيح إلى الأشياء المتخيلة ، التي هي بالقوة معقولة ، فتجعلها معقولةً بالفعل ، وتجعل العقلَ بالقوة عقلا بالفعل . وكما أنَّ الشمس بذاتها مُبْصَرَةٌ ، وسببٌ لإبصارنا سائر ما نُبْصر ، فكذلك هذا الجوهر هو بذاته معقولٌ ، وسببٌ لأن يجعل سائر المعقولات التي هي بالقوة معقولة بالفعل . لكن الشيء الذي هو بذاته معقولٌ ، هو بذاته عقلٌ ؛ فإنَّ الشيء الذي هو بذاته معقول ، هو الصورة المجردة عن المادة ، وخصوصا إذا كانت مجردةً بذاتها لا بغيرها ؛ وهذا الشيء هو العقل بالفعل أيضا ، فإذن هذا الشيء معقول بذاته أبداً بالفعل ، وعقل بالفعل .

لكن ليس كلُّ ما هو مُبْصَر بذاته فهو مُبْصِر بذاته ، أو بصير بذاته ؛ لأنَّ المبصر بذاته هو الذي ينزع آخر غيره هو البصر صورته ، فينطبع بها لا بتوسط . والبصير بذاته هو الذي ينزع صورة غيره فتنطبع به . فلهذا لم يستقم أن تكون الشمس مُشابِهةً للعقل الفعَّال من هذه الجهة ؛ وليس كل شيئين يتشابهان في جهة يتشابهان في كل جهة .

ويجب أنْ نعرف أنَّ هذا الجوهر الذي هو العقل ، هو جوهرٌ مجردٌ عن المادة بالذات ،

---

(٢) أبصارنا : الإبصار ب (٢ ، ٣) رائية ... وذلك : ساقطة من س (٣) إذا : + صح أن ﻫ .
(٤) قوة : ساقطة من ب .
(٦) مبصرة : مبصر ﻫ || لإبصارنا : لإبصار ب ؛ الإبصار س || فكذلك : كذلك ع .
(٧) هي : ساقطة من ﻫ .
(١١) بذاته : + أو بصير بذاته ع || فهو : هو ب || بصير : بصر ب .
(١٢) البصر : المبصر ع || فينطبع : فيطبع ب || بها لا بتوسط : فيها لا بواسطة ﻫ || والبصير : والمبصر ب ، س .
(١٣) به : بها ب ، ﻫ .

وبالعلاقة العقلية ، ومن كل جهة ، وأنه ليس هو وحده بهذه الصفة ، بل ذواتٌ أخرى كثيرة أعلى منه تشاركه فى أنَّ كلَّ واحدٍ منها جوهر عقلى مفارق للمادة أصلا ، وتخالفه فى أنَّ كل واحدٍ منها نوعٌ على حدة . وهذه الأشياء كثيرة بحسب كثرة العوالم العالية والكرات السماوية ، وأنَّ الأعلى منها علةٌ لوجود ما دونه ، ولوجود العالم الذى هو له كهذا العقل الفعَّال لعالمنا ، أعنى أنَّ تلك العوالم حسيةٌ ولها أنفسٌ عاقلة ، يتشبه كل واحدٍ من أنفسها بواحدٍ من هذه البريئة عن المادة ، ويستكمل به ، ويتشبه به — ومع ذلك فالأسفل لا يصدر عن الأعلى ، ولا يحجب عنه . والمعقولات منكشفةٌ ، ليس هناك ستر بوجه من الوجوه — وأنَّ علة عالمٍ عالمٍ ، وفلكٍ فلكٍ ، ونفسٍ نفسٍ ، لعالمٍ واحدٍ واحدٍ من هذه ، وأنَّ علة الكل وموجدَه هو المبدأ الأول الواحد لكل حق .

فهذه إشارة إلى ما ينفع تصوره فى هذا الموضع ، وإنْ كان التصديق به غير متأت أو متحقق (إلا) بالصناعة الإلهية .

---

(١) العقلية : الفعلية س || بل : + ذوات ب ، س .

(٤) والكرات : وبكثرة الكرات ه || الذى : ابتداء من هنا توجد صفحتان فى مخطوطة ع [أحمد الثالث] مطموستان .

(٥) يتشبه : يشبه س .

(٨) وأن : فإن ه || واحد : ساقطة من ب ، ع .

(٩) حق : + تعالى جده س ، ه .

(١٠) ينفع : ينتفع ب .

(١١) متحقق : تتحقق ه .

الفصل الثالث عشر

فى إثبات النبوة

ليس يمكننا فى تعلم العلوم كلها أنْ نتحرز عن مصادرةٍ على مقدمات تتبين فى علوم أخرى ؛ فإنَّ مبادئ العلوم ، وخصوصاً الجزئية ، تتعرف إمَّا من علوم جزئية غيرها ، أو من العلم الكلى الذى يسمى فلسفةً أولى ؛ فليس يمكن أن يُبرَهنَ على مبادئ العلوم من العلوم نفسها . فليسلم لنا هاهنا أنَّ كلَّ معلولٍ فيجب أنْ يلزم عن علته حتى يوجد ؛ وما دام ممكن الوجود عنها بعد ، فليس يوجد . وأنَّ الحركة السماوية اختيارية ، وأنَّ الحركة الاختيارية لا تلزم إلا عن اختيارٍ بالغٍ موجب للفعل . وأنَّ الاختيار للأمر الكلى لا يوجب أمراً جزئياً ؛ وأنه إنما يلزم الأمر الجزئى بعينه عن اختيار جزئى يخصه بعينه . وأنَّ الحركات التى توجد بالفعل هى كلها جزئية ، فيجب إنْ كانت اختيارية أنْ تكون عن اختيار جزئى ، فيجب أنْ يكون المحرك لها مُدْرِكاً للجزئيات ، ولا يكون ألبتة عقلاً صرفاً ، بل يكون نفساً قد تستعمل آلة جسمانية ، تدرك أموراً جزئية إدراكاً إمَّا أنْ يكون تخيلاً عملياً هو

(٢) فى إثبات النبوة : ساقطة من س .

(٣) تعلم : ساقطة من ب || تتبين : ستتبين ب .

(٤ ، ٥) وخصوصاً ... العلوم : ساقطة من س .

(٤) إما من : أمام ﻫ .

(٧) عنها : عنه س .

(١٠) تكون عن : تكون هى عن س .

(١٢) قد : ساقطة من ﻫ .

أرقع من التخيل ؛ وقد بيّناه . فيظهر من تسليم هذه أنّ الحركات السماوية يحرك كلّ واحدٍ منها جوهرٌ نفسانى يتعقل الجزئيات على النحو من التعقل الذى يخصها ، وترتسم فيه صورها وصور الحركات التى يختارها كل واحد منهـا ويجاوره ، حتى تكون الحركات متحدة فيها دائماً ، حتى تتحد الحركات ، ويكون متصوراً لا محالة حينئذ الغايات التى تؤدى إليها الحركات فى هذا العالم ، ويتصور هذا العالم أيضاً بتفصيله وتلخيصه والأجزاء التى فيه لا يعزب منها شىء . ويلزم من ذلك أن تتصور الأمور التى تحدث فى المستقبل ، وذلك لأنها أمور يلزم وجودها عن النسب التى بين تلك الحركات ، لأنها المتعلقة عندها بالشخصية ، والنسب التى بين الأمور التى هاهنا ، والنسب التى بين هذه الأمور وتلك الحركات . فلا يخرج شىء ألبتة عن أنْ يكون حدوثه فى المستقبل لازماً لوجود هـذه على ما هى عليه فى الحال ؛ فإنّ الأمور إمّا أنْ تكون بالطبع ، وإمّا أن تكون بالاختيار ، وإمّا أنْ تكون بالاتفاق . والتى تكون عن الطبع إنما تكون باللزوم عن الطبع ، إما طبع حاصل هاهنا أولىٰ ، وإما طبع حادث هاهنا عن طبع هاهنا ، أو طبع حادث هاهنا عن طبع سماوى .

وأما الاختيارات فإنها تلزم الاختيار ، والاختيار حادث بعد ما لم يكن ، فـله علة ، وحدوثه عنه بلزومٍ وعِلّيةٍ إمّا شىء كائنٍ هاهنا عن إحدى الجهات ، أو شىء سماوى ، أو شىء مشترك بينهما .

(٢) على النحو : بالنحو هـ .
(٤) إليها : إلى س .
(٥) فيه : منه ب .
(٦) يعزب . يعرف س .
(٧) لأنها المتعلقة : المتعلقة ب .
(٨) بين : تلى هـ || الأمور التى : الأمور هذه التى س .
(١١) باللزوم : باللزوج ب . (١٤) عن : على ب .

وأما الاتفاقيات فهى اصطكاكات ومصادمات بين هذه الأمور الطبيعية والاختيارية بعضها مع بعض فى مجاريها ؛ فتكون إذن الأشياء الممكنة ما لم تجب لم توجد ، وإنما تجب لا بذاتها بل بالقياس إلى عللها ، وإلى الاجتماعات التى تعلل الشىء . فإذن يكون كل شىء مقصوداً بجميع الأحوال الموجودة فى الحال من الطبيعة والإرادة الأرضية والسماوية ، ومأخذ كل واحد منها ومجراه فى الحال ، فإنه يتصور ما يجب عن استمرار هذه على مأخذها من الكائنات . ولا كائنات إلا ما يجب عنها ـ كما قلنا ـ فالكائنات إذن قد تدرك قبل الكون ، ولا من جهة ما هى ممكنة ، بل من جهة ما يجب . وإنما لا ندركها نحن لأنه إما أن تخفى علينا جميع أسبابها الآخذة نحوها ، أو يظهر لنا بعضها ، ويخفى علينا بعضها. فبمقدار ما يظهر لنا منها يقع لنا حدسُ ظنٍ بوجودها ، وبمقدار ما يخفى علينا منها يداخلنا الشك فى وجودها .

وأما المحركات للأجرام السماوية فتحصرها جميع الأحوال المتقدمة معاً ، فيجب أن تحصرها جميع الأحوال المتأخرة معاً ، فتكون هيئة العالم مما نريد أن يكون مرتسماً فيه هناك . ثم تلك الصور ، لا وحدها ، بل الصور العقلية التى فى الجواهر المفارقة أيضاً غيرُ محتجبة عن أنفسنا بحجابٍ ألبتة من جهتها . إنما الحجاب هو فى قوانا : إمَّا لضعفها ، وإمَّا لاشتغالها

(١) ومصادمات : ومصادقات ب .
(٣) التى تعلل : ساقطة من ب .
(٤) مقصوداً : متصور ﻫ .
(٥) مأخذها : حد ﻫ .
(٧) ولا : لا ﻫ || يجب : هنا نهاية الصفحتين المطموستين فى مخطوطة ع || ندركها : تدرك ب ، ع .
(٨) نحوها : نحوا ما س || فبمقدار : بقدار ع .
(٩) بوجودها : لوجودها ب || منها : مما ع .
(١٢) معاً : ساقطة من ﻫ || هيئة العالم : ساقطة من ب .
(١٤) هو : ساقطة من ب || قوانا : قبولنا س :

بغير الجهة التى عندها يكون الوصول إليها ، والاتصال بها . وأما إذا لم يكن أحد المعنيين ، فإنَّ الاتصال بها مبذولٌ ، وليست مما تحتاج أنفسنا فى إدراكها إلى شىء غير الاتصال بها ، ومطالعتها . فأمَّا الصور العقلية فإنَّ الاتصالَ بها بالعقل النظرى ، وأمَّا هذه الصور التى الكلام فيها ، فإنَّ النفس إنما تتصورها بقوة أخرى ، وهو العقل العملى ، ويخدمه فى ذلك الباب التخيل . فتكون الأمور الجزئية تنالها النفس بقوتها التى تسمى عقلاً عملياً ، من الجواهر العالية النفسانية . وتكون الأمور الكلية تنالها النفس بقوتها التى تسمى عقلاً نظرياً ، من الجواهر العالية العقلية ، التى لا يجوز أنْ يكون فيها شىء من الصور الجزئية ألبتة .

وتختلف الاستعدادات للقبول جميعاً فى الأنفس ، وخصوصاً الاستعداد لقبول الجزئيات بالاتصال بهذه الجواهر النفسانية . فبعض الأنفس يضعف فيها ويقل هذا الاستعداد أصلاً، لضعف القوة المتخيلة أيضاً . وبعضها يكون هذا فيها أقوى ، حتى إنَّ الحس إذا ترك استعمال القوة المتخيلة ، وترك شغله بما تورده عليه ، جذبتها القوة العملية إلى تلك الجهة ، حتى انطبعت فيها تلك الصور . إلا أنَّ القوة المتخيلة لما فيها من الغريزة المحاكية والمنتقلة من شىء إلى غيره ، تترك ما أخذت ، وتورد شبيهه أو ضده أو مناسبه ، كما يعرض لليقظان من أنه

(١) يكن : + بهذا س .
(٣) الصور : الصورة ع || الصور : الصورة ع .
(٥) بقوتها : بقوته س ، ﻫ .
(٦) بقوتها : بقوته ﻫ .
(٩) لقبول : للنفوس ب ، س .
(١٠) أصلا : ساقطة من ﻫ .
(١١) لضعف : ويضعف س || القوة : ساقطة من ﻫ .
(١٣) انطبعت : انطبع ب ، ع ؛ تنطبع ﻫ || الصور : الصورة ع || من شىء : ساقطة من ب .
(١٤) أخذت : أخذته س || وتورد : فتورد ع || مناسبه : مشاكله ع || لليقظان : اليقظان ب .

يشاهد شيئاً ، فينعطف عليه التخيل إلى أشياء أخرى تحضره مما تتصل به بوجه ، حتى ينسيه الشيء الأول ، فيعود على سبيل التحليل بالتخمين ، ويرجع إلى الشيء الأول ، بأن يأخذ الحاضر مما قد تأدى إليه الخيال ، فيفطن أنه خطر فى الخيال تابعاً لأى صورة تقدمته ، وتلك لأى صورة أخرى ، وكذلك حتى ينتهى إلى البدء ، ويتذكر ما نسيه . كذلك التعبير هو تحليل بالعكس لفعل التخيل ، حتى ينتهى إلى الشيء الذى تكون النفس شاهدته حين اتصالها بذلك العالم ، وأخذت المتخيلة تنتقل عنه إلى أشياء أخرى . فهذه طبقةٌ .

وطبقةٌ أخرى يقوى استعداد نفسها حتى تستثبت ما نالته هناك ، ويستقر الخيال عليه ، من غير أنْ يغلبه الخيال ، وينتقل إلى غيره عنها ، فتكون الرؤيا التى لا تحتاج إلى تعبير .

وطبقةٌ أخرى أشد تهيأً من تلك الطبقة ، وهم القوم الذين بلغ من كمال قوتهم المتخيلة وشدتها أنها لا تستغرقها القوى الحسية فى إيراد ما يورد عليها ، حتى يمنعها ذلك عن خدمة النفس الناطقة فى اتصالها بتلك المبادئ الموحية إليها الأمور الجزئية ، فتتصل كذلك فى حال اليقظة ، وتقبل تلك الصور .

---

(١) عليه : عنه ه || أخرى : أخر ع || تحضره : تحضرها ع ، س ، ه (١ ، ٢) ينسيه الشيء : يتشبه بالشيء ع (٢) التحليل : التحايل س .

(٣) فيفطن : فينظر س || تقدمته : تعد منه ب ، ع .

(٤) البدء : البدن ع ، س || كذلك : لذلك ع .

(٦) وأخذت : فأخذت ب ، س ، ه .

(٧) الخيال : الحال ع ، س .

(٨) غير : ساقطة من ب || يغلبه : يقبله س || عنها : ساقطة من ب ، س .

(١٠) بلغ : يبلغ س .

(١١) الجزئية : ساقطة من ه || كذلك : لذلك س .

(١٣) الصور: الصورة ع .

ثم إنَّ المتخيلة أيضاً تفعل مثل ما تفعل فى حال الرؤيا الحاجة إلى التعبير ، بأن تأخذ تلك الأحوال وتحاكيها ، وتستولى على الحسية ، حتى يؤثر ما يُتَخيل فيها من تلك فى قوة بنطاسيا ، بأن تنطبع الصور الحاصلة فيها فى البنطاسيا للمشاركة ، فتشاهد صوراً إلهية عجيبة مرئية ، وأقاويل إلهية مسموعة هى مُثُلٌ لتلك المدركات الوحيية .

فهذه إذن درجات المعنى المسمى بالنبوة .

وأقوى من هذا أن تُسْتَثبت تلك الأحوال والصور على هيئة مانعةٍ للقوة المتخيلة عن الانصراف إلى محاكاتها بأشياء أخر .

وأقوى من هذا أن تكون المتخيلة تستمر فى محاكاتها ، والعقل العملى والوهم لا يخليان عما استثبتاه ، فتثبت فى الذاكرة صورة ما أُخذت ، وتقبل المتخيلة على البنطاسيا ، وتحاكى منه قبلت بصور عجيبة مسموعة ومُبْصَرة ، ويؤدى كل واحد منها على وجهه .

فهذه طبقات النبوات المتعلقة بالقوة العقلية العملية والخيالية .

وسنوضح فيما بعد خصوصية القوة النظرية .

(١) تفعل : تقبل س ، ع || مثل : ساقطة من هـ .
(٣) الصور : الصورة س || فى : من ع .
(٤) وأقاويل : بأقاويل س ، ع .
(٥) فهذه : وهذه ع ، هـ || فهذه إذن : وهذا دون س .
(٦) هيئة : هيآتها ع .
(٧ ، ٨) بأشياء ... والعقل : ساقطة من س .
(٩) أخذت : أخذته س || وتحاكى : وتحاذى ع .
(١٠) منه : فيه ع . س .
(١١) طبقات : طبقة س ، س || العملية : ساقطة من ع .
(١٢) وسنوضح : + لها ع ، س .

ولا يتعجبنَّ متعجبٌ من قولنا إنَّ المتخيَّلَ ينطبع فى البنطاسيا فيشاهد ، فإنَّ المجانين قد يشاهدون ما يتخيلون ؛ ولذلك علةٌ تتصل بإبانة السبب الذى لأجله يعرض للمرورين أن يخبروا بالأمور الكائنة ، فيصدقون فى الكثير . ولذلك مقدمةٌ ، وهى أنَّ القوة المتخيِّلة كالموضوعة بين قوتين مستعملتين لها ، سافلة وعالية ؛ أمَّا السافلة فالحس فى أنها يورد عليه صوراً محسوسة تشغلها بها ؛ وأمَّا العالية فالعقل فإنه بقوته يصرفها عن تخيل الكاذبات التى يوردها الحس عليها ، ولا يستعملها العقل فيها . واجتماع هاتين القوتين على استعمالها يحول بينها و بين التمكُّن من إصدار أفعالها الخاصة بها على التمام ، حتى تكون الصور التى تحدثها بحيث تنطبع فى البنطاسيا انطباعاً تاماً فيحس . فإذا أعرض عنها إحدى القوتين ، لم تبعد أن تقاوم الأخرى فى كثير من الأحوال ، فلم تمتنع عن فعلها بمنعه ، فتارةً تتخلص عن مجاذبة الحس ، فتقوى على مقاومة العقل ، و تُمْعِن فيما هو فعلها الخاص غير ملتفتة إلى معاندة العقل ، وهذا فى حال النوم عند إحضارها الصور كالمشاهدة . وتارةً تتخلص من سياسة العقل عند فساد الآلة التى يستعملها العقل فى تدبير البدن ، فتستعصى على الحس ، ولا يمكنه

(١) يتعجبن : يتعجب س .
(٣) وهى : وهو ع ، س .
(٥) فإنه بقوته : فإنها بقوتها س || بقوته : قوتها ه || بصرفها : يفرقها ع || تخيل : التخيلات س || الكاذبات : الكاذبة ع || تخيل الكاذبات : التخيل للكاذبات ه || التى : + لا ع ، س .
(٦) يستعملها : يستعمله ه || واجتماع : ولاجتماع ع || استعمالها : استعمالهما ع.
(٧) الصور : الصورة ع || تحدثها : تحدث ه .
(٨) تبعد : تتعد ب .
(٩) الأخرى : أخرى ع || تمتنع : تمنع ب ، س || بمنعه : بتمنعه ب ؛ فتمنعه ع || فتارة : + يحصل و ، ع .
(١١) عند : وعند ع || إحضارها : احتضارها ع ، س || الصور : الصورة ب ، ع .
(١٢) يمكنه : يمكنها س .

من شغلها ، بل تمعن فى إتيان أفاعيلها حتى يصير ما ينطبع فيها من الصور كالمشاهدة لانطباعه فى الحواس ؛ وهـذا فى حال الجنون والمرض . وقد يعرض مثل ذلك عند الخوف لما يعرض من ضعف النفس وانخذالها ، واستيلاء الظن والوهم المُعِينَيْن للتخيل على العمل ، فيشاهد أموراً موحشة ، فالمرورون والمجانين يعرض لهم أن يتخيلوا ما ليس بهذا السبب .

وأما إخبارهم بالغيب ، فإنما يتفق أكثر ذلك لهم عند أحوالٍ كالصرع والغشى ، تفسد حركات قواهم الحسية . وقد يعرض أن تكل قواهم المتخيلة لكثرة حركاتها المضطربة ، لأنها قوة بدنية ، وتكون همهم عن المحسوسات مصروفةً ، فيكثر رفضهم للحس . وإذا كان كذلك ، فقد يتفق أن لا تشتغل هذه القوة بالحواس اشتغالاً مستغرقاً ، ويعرض لها أدنى سكون عن حركاتها المضطربة ، ويسهل أيضاً انجذابها مع النفس الناطقة ، فيعرض للعقل العملى اطلاع إلى أعلى عالم النفس المذكور ، فيشاهد ما هناك ، ويتأدى ما يشاهده إلى الخيال ، فيظهر منه كالمشاهد والمسموع . فحينئذ إذا أخبر به المرور ، وخرج وِفْقَ مقاله ، يكون قد تكهَّن بالكائنات المستقبلة .

والآن يجب أن نختم هذا الفصل ، فقد أدينا فيه نكت هذه الأسرار المكتومة ؛ والله الهادى .

(١) بل : بأن ه || إتيان : إبراز ع ، ه .
(٣) العمل : العقل ع ، س .
(٤) فالمرورون : كالمرورين ب ؛ فالمرورين ع .
(٥) لهم : منهم س .
(٦) حركات : حركة ع || تكل قواهم : تكل قوتهم ب ، ع .
(٧) فيكثر : فيكون س .
(٩) عن : من س || أيضاً : ساقطة من س .
(١١) منه : فيه ه || والمسموع : المسموع ع ، س .
(١٣ ، ١٤) والله الهادى : ساقطة من ب ، ع (١٤) الهادى : الموفق ه .

الفصل الرابع عشر

فى زكاء النفس

قد بيّنا فيما سلف أقصى ما تبلغه القوة العملية فى إدراكها ، وسياستها للبدن والعالم ، ورتبنا درجات النبوات بالقياس إليها . والآن فإنا نريد أن نعرف أشباه تلك الدرجات فى القوة النظرية ، فنقول :

من المعلوم الظاهر أنّ الأمور المعقولة التى نتوصل إلى اكتسابها بعد الجهل بها ، إنما نتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط فى القياس . وهذا الحد الأوسط قد يحصل بضربين من الحصول : فتارةً يحصل بالحدس ؛ والحدس هو فعل الذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط ؛ والذكاء قوة الحدس . وتارةً يحصل بالتعليم ؛ ومبادئ التعليم الحدس ، فإنّ الأشياء تنتهى لا محالة إلى حدوسٍ استنبطها أرباب تلك الحدوس ، ثم أدوها إلى المتعلمين . فجائز إذن أن يقع للإنسان بنفسه الحدسُ ، وأن ينعقد فى ذهنه القياسُ بلا معلم . وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف ؛ أمّا فى الكم فلأنّ بعضَ الناس يكون أكثرَ عدد حدسٍ

(٢) العنوان ساقط من س .

(٦ ، ٧) بعد الجهل بها إنما نتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط فى القياس : بحصول الحد الأوسط بعد الجهل بها إنما نتوصل إلى اكتسابها بالقياس ب ، ه ؛ إنما تكتسب بحصول الحد الأوسط بعد الجهل بها س .

(٩) والذكاء : + فى ع .

(١١) إذن : ساقطة من ب ، ع || معلم : + يعلم ب ، ع.

(١١ ، ١٢) مما يتفاوت : متفاوت ع ؛ يتفاوت ه .

للحدود الوسطى ؛ وأمّا فى الكيف فلأنّ بعض الناس يكون أسرعَ زمان حدس . ولأنّ هذا التفاوت ليس منحصراً فى حدٍ ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهى فى طرف النقصان إلى مَنْ لا حدسَ له ألبتة ، فيجب أن ينتهى فى طرف الزيادة إلى مَنْ له حدسٌ فى كل المطلوبات أو أكثرها ، أو إلى مَنْ له حدسٌ فى أقصر وقتٍ وأقصره ؛ فيمكن إذن أنْ يكون شخصٌ من الناس مؤيَّدَ النفس بشدة الصفاء ، وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أنْ يشتعل حدساً ، أعنى قبولًا لإلهام العقل الفعّال فى كل شىء ، فترتسم فيه الصور التى فى العقل الفعّال ، إمّا دفعةً ، وإمّا قريباً من دفعةٍ ، ارتساماً عقلياً لا تقليدياً ، بل [بترتيب يشتمل على] الحدود الوسطى ، فإنّ التقليديات فى الأمور التى إنما تُعْرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية .

وقد ظهر لنا فى العلوم الإلهية أنّ الصور التى هى فى الأجسام العالية تابعةٌ فى الوجود للصور التى فى النفوس والعقول الكلية ؛ وأنّ هذه المادةَ طوعٌ لقبول ما هو متصورٌ فى عالم العقل ؛ وأنّ تلك الصورَ العقلية مبادئُ لهذه الصور الحسية يجب عنها لذاتها وجودُ هذه الأنواع فى العوالم الجسمانية . والأنفس الإنسانية قريبةٌ من تلك الجواهر ، وقد نجد لها فعلًا

(١) فى الكيف : بالكيف س || يكون : ساقطة من ب ، ع .
(٢) ليس : ساقطة من ب .
(٣) ينتهى : + أيضاً هـ .
(٤) أو إلى : وإلى ب ، س || أقصر : أسرع هـ .
(٥) إذن : ساقطة من ب .
(٦ ، ٧) أعنى . . . الفعال : ساقطة من ب ، ع . (٧) عقلياً : ساقطة من ب ، ع || تقليدياً : تقليداً ب ، ع .
(٨) بترتيب يشتمل على : زيادة من هـ || الحدود : بالحدود ع ، س .
(٩) عقلية : + وهـذا ضرب من النبوة بل أعلى قوة النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسيه وهى أعلى مراتب القوى الإنسانية [خاتمة الفصل فى النجاة] .
(١٣) قريبة : مرتبة ع || نجد : يحدث ب .

طبيعياً فى البدن الذى لكل نفس ؛ فإنَّ الصورةَ الإرادية التى ترتسم فى النفس يتبعها ضرورةً شكلٌ فيسرى إلى الأعضاء ، وتحريكٌ غير طبيعى ، وميلٌ غير غريزى ، تذعن لها الطبيعة .

والصورة الجوفية التى ترتسم فى الخيال يحدث عنهـا فى البدن مزاج من غير استحالة عن تخيل طبيعى شبيه بنفسه .

والصورة الغضبية التى ترتسم فى الخيال يحدث عنها فى البدن مزاج آخر من غير استحالة عن تخيلٍ شبيهٍ .

والصورة المعشوقة عند القوة الشهوانية إذا لحت فى الخيال حدث عنها مزاج يُحْدث ريحاً عن المادة الرطبة فى البدن ، ويحدده إلى العضو الموضوع آلةً للفعل الشهوانى ، حتى تستعد لذلك الشأن . وليست طبيعة البدن إلا من عنصر العالم . ولولا أنَّ هذه الطباع موجودةٌ فى جوهر العنصر ، لما وُجِد فى هذا البدن . ولا ننكر أن يكون من القوى النفسانية ما هو أقوى فعلاً وتأثيراً من أنفسنا نحن ، حتى لا يقتصر فعلها فى المادة التى رسم لها وهو بدنها ، بل إذا شاءت أحدثت فى مادة العالم ما يتصور بأسباب فى نفسها ؛ وليس يكون مبدأ ذلك

(١) النفس : الخيال ﻫ .
(٢) ضرورة : صورة ع || إلى الأعضاء : للأعضاء ع .
(٥) تخيل : مخيل ب .
(٦ ، ٨) عنها : منها ع ، س .
(٩) للفعل : الفعل ب .
(١٠) الشأن : البيان س || ولولا : ولو ب || الطباع : الطبائع ع .
(١١) ولا : فلا س .
(١٢) فى : عن ع || بدنها : بذاتها ع ، س .
(١٣) بأسباب : ساقطة من ب ، س ؛ فعلها ﻫ .

إلا إحداث تحريك وتسكين ، وتبريد وتسخين ، وتكثيف وتليين ، كما تفعل فى بدنها ، فيتبع ذلك أن تحدث سحب ورياح ، وصواعق وزلازل ، وتنبع مياه وعيون وما أشبه ذلك فى العالم البشرى بإرادة هذا الإنسان .

فأفضل النوع البشرى مَنْ أوفى الكمال فى حدس القوة النظرية ، حتى استغنى عن المعلم البشرى أصلاً ؛ وفى كهانته العملية ، حتى يشاهد العالم النفسانى بما فيه من أحوال العالم ، ويستثبتها فى اليقظة ، وتعمل القوة المتخيلة فيه عملها التام فيه ، فيشاهدها بوجه خاص آخر ، على ما ذكرنا ، ويكون لقوته النفسانية أنْ تؤثر فى عالم الطبيعة .

ثم الذى له الأمران الأولان وليس له الأمر الثالث ، الذى له هذا التهيؤ الطبيعى فى القوة النظرية دون العملية .

ثم الذى اكتسب هذا الاستكمال فى القوة النظرية ، ولا حصة له فى أمر القوة العملية ، من الحكماء المذكورين .

ثم الذى ليس له فى القوة النظرية لا تهيؤ طبيعى ، ولا اكتساب تكلفى ، ولكن له التهيؤ فى القوة العملية ، فالرئيس الأول المطلق .

---

(١) وتليين : وتكثير س .
(٣) البشرى : ساقطة من ب ، س .
(٤) البشرى : الإنسانى هـ || أوفى : أوتى س .
(٥) العملية : + كان ح .
(٦) العالم : العوالم ح ، هـ || فيه . منه ح ، س || عملها : عمله هـ || خاص : ساقطة من ب ، س ، هـ .
(٨) ثم : ساقطة من ح || له : ساقطة من ب || الأمر : ساقطة من ب || الثالث : + ثم ح ، س .
(١٠) اكتسب : يكتسب ح .
(١٢) لا تهيؤ : تهيؤ ب .

والملك الحقيقى الذى يستوجب بذاته أن يملك ، هو الأول من العدة المذكورة ، الذى إنْ نَسَبَ نفسه إلى عالم العقل وجد كأنه متصلٌ به دفعةً ، وإنْ نسب نفسه إلى عالم النفس وجد كأنه من سكان ذلك العالم ، وإنْ نسب نفسه إلى عالم الطبيعة كان فعّالاً فيه ما يشاء .

والذى يتلوه أيضاً رئيس كبير بَعْده فى المرتبة ؛ والباقون هم أشراف النوع الإنسانى وكرامه .

وأمّا الذين ليس لهم استكمال شىء من القوى ، إلا أنهم يُصْلحون الأخلاق ، ويقتنون الملكات الفضيلية ، فهم الأذكياء من النوع الإنسانى ، وليسوا من ذوى المراتب العالية ، إلا أنهم يتميزون عن سائر أصناف الناس .

(١) يستوجب : يستحق ع ، ه || يملك : يملكه ع || هو : ساقطة من ع || العدة : القوة ب || المذكورة : المذكورين ه .
(٣) فعالا : فاعلا ع .
(٥) أشراف : أشرف ه .
(٦) وكرامه : + وكبراؤه هامش ع .
(٧) شىء : ساقطة من ب || أنهم : ساقطة من ب .
(٩) يتميزون : متميزون ع .

الفصل الخامس عشر

فى سعادتها وشقاوتها بعد الفراق

يجب أنْ تَعْلَمَ أنَّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث . وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أنْ تُعْلَم . وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها سيدنا ومولانا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حالَ السعادة والشقاوة التى بحسب البدن ؛ ومنه ما هو مُدْرَك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة البالغتان اللتان للأنفس . إلا أنَّ الأفهام تقصر عنها ، لما نوضح من العلل .

والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى ذلك ، وإنْ أعطوه ، ولا يستعظمونه بجنب هذه السعادة

(٢) فى ... الفراق : ساقط من س .

(٣) من الشرع : من صاحب الشرع عليه الصلوات والتحية والسلام س .

(٤) الشريعة : الشرع نفسه س .

(٥) أن ساقطة من ﻫ || تعلم : + ذلك س || الحقة : ساقطة من ﻫ || سيدنا ومولانا نبينا : ساقطة من ﻫ .

(٦) نبينا : ساقطة من ب ، ع .

(٧) البالغتان : الثابتتان ﻫ .

(٨) للأنفس : للنفس ع || الأفهام : الأوهام س ، ﻫ .

(٩) الإلهيون : + ليس ﻫ (٩ ، ١٠) أعظم . . . البدنية : ساقطة من ﻫ (١٠) البدنية : الدنيوية ع || ذلك : تلك ﻫ || أعطوه : أعطوها س ، ﻫ ، ﻫ || يستعظمونه : يستعملونه ب ، ﻫ ؛ يستعظمونها س ، ﻫ || بجنب : فى جنب ﻫ .

التى هى مقاربة الحق الأول وعلى ما نصفها عن قريب . فلنصف حال هذه السعادة والشقاوة المضادة لها ، فإنَّ البدنية مفروغٌ منها فى الشرع . فنقول :

يجب أنْ تعلم أنَّ لكل قوة نفسانية لذةً وخيراً يخصها ، وأذى وشراً يخصها . مثاله أنَّ لذة الشهوة وخيرها أنْ يتأدى إليها كيفياتٌ محسوسةٌ ملائمة من الخمسة ؛ ولذة الغضب الظفر ؛ ولذة الوهم الرجاء ؛ ولذة الحفظ تذكرُ الأمور الموافقة الماضية ؛ وأذى كل واحدة منها ما يضادها . وتشترك كلها نوعاً من الشركة فى أنَّ الشعورَ بموافقها وملائمها هو الخير ، واللذةَ الخاصة بها وموافق كل واحد منها بالذات والحقيقة هو حصول الكمال الذى هو بالقياس إليه كمال بالفعل . فهذا أصل .

وأيضاً فإنَّ هذه القوى ، وإنْ اشتركت فى هذه المعانى ، فإنَّ مراتبها فى الحقيقة مختلفة . فالذى كماله أفضل وأتم ، والذى كماله أكثر ، والذى كماله أدوم ، والذى كماله أوصل إليه ، والذى هو فى نفسه أكمل وأفضل ، والذى هو فى نفسه أشد إدراكاً ، فاللذة التى له أبلغ وأوفر لا محالة . وهذا أصل .

وأيضاً فإنَّه قد يكون الخروج إلى الفعل فى كمالٍ تامّ بحيث نعلم أنه كائن ولذيذ ، ولا نتصور كيفيته ولا نشعر باللذاذة ما لم تحصل . وما لم نشعر به لم نشتق إليه ، ولم نزع نحوه ؛

---

(٤) كيفيات : كيفية س ، ده || من : + الحواس هـ .
(٧) واللذة : والقوة ب || هو : ساقطة من ب .
(١٠) أوصل إليه : + وأحصل له س ، ده .
(١١) فاللذة : فالقوة ب .
(١٢) وأوفر : وأوفى ده || لا محالة : ساقطة من ب ، ع .
(١٣) الخروج : + من القوة ب ، س || ما : ساقطة من ب .
(١٤) نحوه : + الاشتهاء والحنين اللذين يكونان مخصوصين به بل شهوة أخرى كما يشتهى من يجرب من حيث يحصل بها إدراك وإن كان مؤذياً وبالجملة فإنه س ، ده .

مثل العِنِّين فإنه متحقق أنَّ للجماع لذةً ، ولـكنه لا يشتهيه ، ولا يحن نحوه ، ولا يتخيله . وكذلك حال الأكمه عند الصور الجميلة ، والأصم عند الألحان المنتظمة . ولهـذا يجب أن لا يتوهم العاقل أنَّ كلَّ لذة فهو كما للحمار فى بطنه وفرجه ؛ وأنَّ المبادئ الأولى المقربة عند ربِّ العالمين عادمةٌ للذة والغبطة ؛ وأنَّ ربَّ العالمين ليس له فى سـلطانه ، وخاصية البهاء الذى له ، وقوته الغير المتناهية ، أمر فى غاية الفضيلة والشرف والطيب نجله عن أن يسمى لذةً . ٥

ثم للحمار والبهائم حالة طيبةٌ ولذيذة . كلا ، بل أى نسبة تكون لذلك مع هذه الخسيسة !! ولـكنا نتخيل هذا ونشاهده ، ولم نعرف ذلك بالاستشعار بل بالقياس ، فحالنا عنده كحال الأصم الذى لم يسمع قط فى عدم تخيل اللذة اللحنية ، وهو متيقن لطيبها . وهذا أصل .

وأيضاً فإنَّ الـكمال والأمرَ الملائم قد يتيسر للقوة الدرّاكة ، وهناك مانع أو شاغل ١٠ للنفس ، فيـكرهه ويؤثر ضده عليه ؛ مثل كراهية بعض المرضى الطعمَ الحلو وشهوتهم الطعومَ الرديَّة الـكريهة بالذات ؛ وربما لم تكن كراهية ولـكن عدم استلذاذ به ، كالخائف يجد الغلبة أو اللذة فلا يشعر بها ، ولا يستلذ بها . وهذا أصل .

---

(١) متحنق : يتحقق ﻫ .

(٣) فهو : + للمحسوس ع || المقربة : المترتبة ع ؛ المعروفة س .

(٤) العالمين : + تعالى جده وتقدست أسماؤه س || العالمين : + تبارك وتعالى س .

(٥) والطيب : + الذى ب || عن : ساقطة من ب .

(٧) فحالنا : بحالنا ع .

(٨) عدم : عدمه ع (٨ ، ٩) وهو . . . أصل : ساقطة من ب ، ع

(١١) الطعم : للطعم ﻫ || وشهوتهم : وشهواتهم ع .

(١٢) الطعوم : للطعوم ب || بالذات : باللذات ع || ولـكن : + كان س ، ده || استلذاذ : الاستلذاذ ع ، س ، ده .

وأيضاً قد تكون القوة الدرّاكة ممنوعةً بضد ما هو كمالها ، ولا تحس به ، ولا تنفر عنه ، حتى إذا زال العائق تأذت كل التأذى ، ورجعت إلى غريزتها ؛ مثل الممرور ، فربما لم يحس بمرارة فمه ، إلى أن يصلح مزاجه ، وتتنقى أعضاؤه ، فحينئذ ينفر عن الحال العارضة له . وكذلك قد يكون الحيوانُ غيرَ مشتهٍ الغذاء ألبتة ـ وهو أوفق شيء يكون له ـ وكارها له ، وتبقى علتهُ مدة طويلة ، فإذا زال العائق عاد إلى واجبه فى طبعه ، فاشتد جوعه وشهوته للغذاء ، حتى لا يصبر عنه ، ويهلك عند فقدانه . وكذلك يحصل بسبب الألم ، مثل إحراق النار وتبريد الزمهرير ، إلا أنّ الحس مؤوف بآفة فلا يتأذى البدن بها حتى تزول الآفة ، فيحس حينئذ بالألم العظيم .

فإذا تقررت هذه الأصول ، فيجب أنْ ننصرف إلى الغرض الذى نؤمه ، فنقول :

إنَّ النفسَ الناطقة كمالها الخاص بها أنْ تصير عالَماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكل ، والنظام المعقول فى الكل ، والخير الفائض فى الكل ، مبتدئاً من مبدأ الكل ، وسالكاً إلى الجواهر الشريفة التى هى مبدأ لها الروحانية المطلقة ، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً مّا فى الأبدان ، ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها ، ثم كذلك حتى تستوفى فى نفسها هيئة

---

(١) به : ساقطة من ب .
(٢) تأذت : تأذى ع ؛ + به ه || غريزتها : غريزته ع .
(٣) بمرارة : بمرورة ب ؛ لمرارة س || وتتنق : وتشفى ه || له : ساقطة من ب .
(٤) الغذاء . للغذاء ب || يكون : ساقطة من ع ، س .
(٥) وتبقى علته : ويبقى عليه ب ، ع ، س ، ه .
(٦) وكذلك : + قد س || الألم : + العظيم ه || إحراق : حرق ب ، ع .
(٧) إلا ... البدن : لا يحس البدن ب ؛ بأن لا يحس البدن آفة فلا يتأذى البدن ع ، ه .
(٩) فإذا : وإذا ب ، ع .
(١٠) صورة : صور ب ، ع .
(١١) الفائض : + من واهب الصور س.
(١٣) فى الأبدان : بالأبدان ه || بهيئاتها : بهيئتها ع .

الوجود كله ، فتنقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كله ، مشاهداً لما هو الحسن المطلق، والخير المطلق ، والجمال الحق ، ومتحداً به ، ومنتقشاً بمثاله وهيئته ، ومنخرطاً فى سلكه ، وصائراً من جوهره .

فلنقس هذا بالكمالات المعشوقة للقوى الأخرى ، فنجد هذا فى المرتبة بحيث يقبح معها أن يقال إنه أفضل وأتم منها ، بل لا نسبةَ لها إليه بوجه من الوجوه فضيلةً وتماماً وكثرة ، وسائر ما يتم به إلذاذ المدركات مما ذكرنا .

وأمَّا الدوام ، فكيف يقاس الدوام الأبدى بالدوام المتغير الفاسد ؟ وأمَّا شدة الوصول ، فكيف يقاس ما وصوله بملاقاة السطوح مع ما هو سارٍ فى جوهر قابله ، حتى يكون كأنه هو هو بلا انفصال ، إذ العقل والعاقل والمعقول واحد ، أو قريب من الواحد .

وأمَّا أنَّ المدرِك نفسَه أكملُ فأمرٌ لا يخفى . وأمَّا أنه أشدُّ إدراكا فأمرٌ أيضاً يكشف عنه أدنى بحثٍ ، فإنه أكثر عدد مدركات وأشد تقصياً للمُدْرَك ، وتجريداً له عن الزوائد الغير الداخلة فى معناه إلا بالعرض ، والخوض فى باطنه وظاهره . بل كيف يقاس هذا الإدراك بذلك الإدراك ؟ وكيف يمكننا أنْ ننسب اللذة الحسية والبهيمية والغضبية إلى هذه

---

(١) فتنقلب : فتصير س || الحسن المطلق : الخير المطلوب ح .
(٢) والجمال : والكمال ح || الحق : المطلق ب ، ح .
(٣) من : فى ح .
(٤) يقبح : يصح ب ، ﻫ .
(٥) معها : ساقطة من ب ، ح .
(٦) وسائر ... ذكرنا : ساقطة من ب ، ح .
(٨) يقاس : يكون حاله بقياس س ، ﻫ || كأنه : ساقطة من ب ، ح ، ﻫ .
(٩) أو قريب من الواحد : ساقطة من ب ، ح ﻫ .
(١٠) المدرك نفسه : المدرك فى نفسه ﻫ || فأمر : فالأمر ح .
(١١) فإنه : فإن النفس النطقية س ، ﻫ || تقصياً : فيضاً ح .
(١٣) بذلك : بذاك ب .

السعادة واللذة ؟ ولكنّا فى عالمنا وأبداننا هذين ، وانغماسنا فى الرذائل ، لا نحس بتلك اللذة إذا حصل عندنا شىء من أسبابها ، كما أومأنا إليه فى بعض ما قدمناه من الأصول ؛ ولذلك لا نطلبها ، ولا نحنّ إليها ، اللهم إلا أن نكون قد خلعنا ربقة الشهوة والغضب وأخواتها عن أعناقنا ، وطالعنا شيئاً من تلك اللذة ، فحينئذ ربما نتخيل منها خيالًا طفيفاً ضعيفاً ، وخصوصاً عند انحلال المشكلات ، واستيضاح المطلوبات النفيسة ؛ والتذاذنا بذلك شبيه بالالتذاذ الحسى عن المذوقات اللذيذة و بروائحها من بعيد .

ثم إنّا إذا انفصلنا عن البدن ، وكانت النفس منا تنبهت فى البدن لكمالها الذى هو معشوقها ، ولم تحصله ، وهى بالطبع نازعة إليه إذا عقلت بالفعل أنه موجود ، إلا أنّ اشتغالها بالبدن — كما قلنا — قد أنساها ذاتها ومعشوقها ، كما ينسى المريض الحاجة إلى بدل ما يتحلل ، وكما ينسى المريض الاستلذاذ بالحلو واشتهاءه ، و يميل بالشهوة منه إلى المكروهات فى الحقيقة ، عرض حينئذ لها من الألم بفقدانه كفاء ما يعرض من اللذة التى أوجبنا وجودها ، ودللنا على عظم منزلتها ؛ فيكون ذلك هو الشقاوة والعقوبة التى لا يعدلها تفريق النار للاتصال

(١) اللذة : القوة ب ، ع .
(٢) قدمناه : قدمنا ب ، ع .
(٣) قد : ساقطة من ب ، ع .
(٤) شيئاً : + شيئاً ب || طفيفاً : + خفيفاً ع .
(٥) النفيسة : اليقينية س ؛ النفسية ه .
(٦) المذوقات : المذاقات س || وبروائحها : وبدراكها ب ، س || بعيد : فى كتاب النجاة فقرة طويلة زائدة .
(٨) تحصله : تحصل ع ، س ؛ وتحصلها ه || إذا : إذ ه || اشتغالها : استعمالها ع .
(٩) قد : ساقطة من ب ، ع || أنساها ذاتها ومعشوقها : أنساه ذاته ومعشوقه ه .
(١٠) منه : + وأشباهه ع .
(١١) كفاء ما : كما ع || اللذة التى : الفقدان الذى ع .

وتبديلها ، وتبديل الزمهرير للمزاج . فيكون مَثَلُنا حينئذ مَثَلَ الخِدر الذى أومأنا إليه فيما سلف ، أو الذى عمل فيه نار أو زمهرير فمنعت المادة اللابسة وجه الحس عن الشعور به فلم يتأذ ، ثم عرض أنْ زال العائق فشعر بالبلاء العظيم .

وأما إذا كانت القوة العقلية بلغت من النفس حداً من الكمال يمكنها به إنْ فارقت البدن أن تستكمل الاستكمال التام الذى لها أنْ تبلغه ، كان مثلنا مثل الخِدر الذى أذيق المطعم الألذ وعرض للحالة الأشهى وكان لا يشعر به ، فزال عنه الخدَر ، فطالع اللذة العظيمة دفعةً ، وتكون تلك اللذة لا من جنس اللذة الحسية والحيوانية بوجه ، بل لذة تشاكل الحالة الطيبة التى للجواهر الحية المحضة ، وهى أجلُّ من كل لذة وأشرف .

فهذا هو السعادة وتلك هى الشقاوة .

وتلك الشقاوة ليست تكون لكل واحد من الناقصين ، بل الذين اكتسبوا للقوة العقلية الشوقَ إلى كمالها ، وذلك عند ما يبرهن لهم أنَّ من شأن النفس إدراكَ ماهية الكل

(١) للمزاج : المزاج ع .
(٢) فمنعت : تمنعه ع || اللابسة : اللائمة ع .
(٣) زال : + العارض ع .
(٤) يمكنها : لا يمكنه ب ؛ يمكنه ه || به : ساقطة من ب || إن فارقت : إذا فارق ب ، ع ، ه .
(٥) التام : ساقطة من ب ، ع ، ه || لها : له ب ، ع ، ه || مثلنا : مثاله ب ، س ، ه ؛ مثلها د .
(٦) المطعم : الطعم ه || به : ساقط من ه .
(٧) اللذة : القوة ب ، ع || بل : + من ع .
(٨) الطيبة : الطبيعية س || وهى : ساقطة من ب ، ع .
(١٠) واحد من : ساقطة من ب .
(١١) الشوق : شوقاً ب .

بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل ؛ فإنَّ ذلك ليس فيها بالطبع الأول ، ولا أيضاً فى سائر القوى ، بل شعور أكثر القوى إنما يحدث بعد أسباب .

وأما النفوس والقوى الساذجة الصرفة فكأنها هيولى موضوعة لم تكتسب ألبتة هذا الشوق ؛ لأنَّ هذا الشوقَ إنما يحدث حدوثاً وينطبع فى جوهر النفس ، إذا تبرهن للقوة النفسانية أنَّ هاهنا أموراً تكتسب العلم بها بالحدود الوسطى ، وبمادة معلومة بأنفسها . وأمَّا قبل ذلك فلا يكون ، لأنَّ هذا الشوق يتبع رأياً ، وليس رأياً أولياً بل رأياً مكتسباً . فهؤلاء إذا اكتسبوا هذا الرأى لزم النفس ضرورةً هذا الشوق ؛ فإذا فارق ولم يحصل معه ما تبلغ به نفسه بَعْدُ الانفصالَ التام ، وقع فى هذا النوع من الشقاء الأبدى ، لأنه إنما كانت تلك الآلة تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات .

وهؤلاء إمَّا مقصرون عن السعى فى كسب الكمال الإنسى ، وإمَّا معاندون جاحدون متعصبون لآراء فاسدةٍ مضادةٍ للآراء الحقيقية . والجاحدون أسوأ حالًا لما اكتسبوا من هيئات مضادة [للكمال] .

وأمَّا أنه كم ينبغى أنْ يحصل عند نفس الإنسان من تصور المعقولات حتى يجاوز به

(١) بكسب : لكسب ع || بالفعل : بالعقل ع .
(٢) بل : + هى ع || القوى : + بكمالاتها ه .
(٣) فكأنها : فكلها ع .
(٤) تبرهن : برهن ع .
(٦) وليس رأياً : وليس دائماً ب .
(٧) ولم : فلم ب ، س .
(٨) نفسه : ساقطة من ب ، س،ه || وقع : فوقع ع .
(١١) لآراء فاسدة : للآراء الفاسدة ب || الحقيقية : إذا صفت النفس تبرهن أن كل حق بلا كلفة إلى الحقيقة ع (١١ ، ١٢) والجاحدون ... مضادة : ساقطة من ب ، ع ، ه (١٢) للكمال : زيادة فى النجاة .
(١٣) نفس الإنسان : النفس ه .

الحد الذى فى مثله تقع هذه الشقاوة ، وفى تعديه وجوازه ترجى هذه السعادة ، فليس يمكننى أنْ أنص عليه نصاً إلا بالتقريب .

وأظن أنَّ ذلك بأنْ تتصورَ نفسُ الإنسان المبادئَ المفارقة تصوراً حقيقياً ، وتصدقَ بها تصديقاً يقينياً ، لوجودها عنده بالبرهان ، وتعرف العلل الغائية للأمور الواقعة فى الحركات الكلية دون الجزئية التى لا تتناهى ، وتتقرر عنده هيئة الكل ونسبة أجزائه بعضها إلى بعض ، والنظام الآخذ من المبدإ الأول إلى أقصى الموجودات الواقعة فى ترتيبه ؛ ويتصور العنايةَ وترتيبها وكيفيتها ، ويتحقق أنَّ الذات المتقدمة للكل أىّ وجود يخصها ، وأى وحدة تخصها ، وأنها كيف تعرف حتى لا يلحقها تكثُّر وتغيُّر بوجه من الوجوه ، وكيف ترتيب الموجودات إليها . ثم كلما ازداد الناظر استبصاراً ازداد للسعادة استعداداً ؛ وكأنه ليس يبرأ الإنسان عن هذا العالم وعلائقه إلا أنْ يكون أكَّدَ العلاقة مع ذلك العالم ، فصار له شوقٌ إلى ما هناك ، وعشقٌ لما هناك ، يصده عن الالتفات إلى ما خَلْفَه جملةً .

ونقول أيضاً : إنَّ هذه السعادة الحقيقية لا تتم إلا بإصلاح الجزء العملى من النفس ؛ ونقدم لذلك مقدمةً كنا قد ذكرناها فيما سلف ، فنقول :

إنَّ الخُلُقَ مَلَكَةٌ تصدر بها عن النفس أفعالٌ مَّا بسهولة من غير تقدم روية . وقد

---

(١) وفى تعديه ... السعادة : ساقطة من ب ، ع ، هـ .
(٢) نصاً : ساقطة من ب ، ع .
(٥) ونسبة : ونسب ب ، س .
(٨) يلحقها : يلحقه ع .
(٩) وكأنه : فكأنه ب .
(١٠) وعلائقه : وعلاقته ع .
(١١) يصده : فصده ب ، ع || ما : ساقطة من هـ .
(١٣) كنا : وكأنا ع ، س ، ده .
(١٤) الخلق : + هى ع ، س ؛ هو ده || بها : منها ب || ما : ساقطة من ب .

أمر فى كتب الأخلاق بأن يستعمل التوسط بين الخلقين الضدين ، لا بأن تُفْعل أفعال التوسط دون أن تحصل ملكة التوسط . وملكة التوسط كأنها موجودةٌ للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً . أمَّا القوى الحيوانية فبأن يحصل فيها هيئة الإذعان ، وأما القوة الناطقة فبأن يحصل فيها هيئة الاستعلاء ، كما أنَّ ملكة الإفراط والتفريط موجودةٌ للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً ، ولكن بعكس هذه النسبة ؛ ومعلوم أنَّ الإفراط والتفريط هما مقتضى القوى الحيوانية التى فى الشهوة . وإذا حصلت ملكتها يكون قد حدث فى النفس الناطقة هيئةٌ إذعانية وأثرٌ انفعالى قد رسخ فى النفس الإنسانية ، ومن شأنها أن تجعلها قوية العلاقة مع البدن ، شديدة الانصراف إليه .

وأما ملكة التوسط فالمراد منها التنزيه عن الهيئات الانقيادية ، وتنقية النفس الناطقة على جبلتها ، مع إفادة هيئة الاستعلاء والتنزيه ؛ وذلك غير مضاد لجوهرها ، ولا مائل بها إلى جهة البدن بل عن جهته ، فإنَّ المتوسط يُسْلب عنه الطرفان دائماً .

ثم النفس إنما كان البدن يغمرها ويلهيها ويغفلها عن الشوق الذى يخصها ، وعن

---

(١) كتب : كتاب ب (١ ، ٢) أفعال التوسط : الأفعال المتوسطة س .

(٣) أما القوى : أما للقوى ب ، س .

(٤) الاستعلاء : + والانفعال ﻫ .

(٥ ، ٦) ولكن . . . الحيوانية : ساقطة من ب (٦) التى . . . ملكتها : وإذا قويت قوى الحيوانية وحصل لها ملكة استعلائية س || حدث : حدثت ع .

(٧) الإنسانية : الناطقة ب ، ﻫ || ومن : من ب || تجعلها : تجعله ع ، س || قوية : قوى ع ، س ، ﻫ

(٨) شديدة : شديد ع ، س ، ﻫ .

(٩) التنزيه : التبرئة ﻫ || الهيئات : الهيئة ع .

(١٠) جبلتها : جملتها ع || إفادة : إفشائه ع || لجوهرها : لجوهره ﻫ || بها : به ب ، س ، ﻫ .

(١١) فإن : فلأن ﻫ || المتوسط : التوسط س ، ﻫ .

(١٢) ثم : + جوهر س || يغمرها ويلهيها ويغفلها : يغمره ويلهيه ويغفله س ، ﻫ || يخصها : يخصه ع ، س ، ﻫ .

طلب الكمال الذى لها ، وعن الشعور بلذة الكمال إنْ حصل لها ، أو الشعور بألم الكمال إنْ قصرت عنه ، لا بأنَّ النفس منطبعةٌ فيه ، أو منغمسة فيه ، ولكن للعلاقة التى كانت بينهما ، وهو الشوق الجِبِلِّيُّ إلى تدبيره والاشتغال بآثاره ، وما يورد عليها من عوارضه .

فإذا فارقت وفيها ملكة الاتصال به ، كانت قريبة الشبه من حالها وهى فيه . فما ينقص من ذلك لا يغفلها عن حركة الشوق الذى له إلى كمالها ، وبما يبقى منه معها يصدها عن الاتصال الصرف لمحل سعادتها ، ويحدث هناك من الحركات المتشوشة ما يعظم أذاه .

ثم إنَّ تلك الهيئة البدنية مضادةٌ لجوهرها ، مؤذية لها . وإنما كان يلهيها عنه أيضاً البدن ، وتمام انغماسه فيه . فإذا فارقته أحست بتلك المضادة العظيمة ، وتأذت أذى عظيماً . لكن هذا الأذى وهذا الألم ليس لأمر ذاتى ، بل لأمر عارضٍ غريب ؛ والعارض الغريب لا يدوم ولا يبقى ، ويزول ويبطل مع ترك الأفعال التى كانت تثبت تلك الهيئة بتكررها . فيلزم إذن أن تكون العقوبةُ التى بحسب ذلك غيرَ خالدة ، بل تزول وتنمحى قليلاً قليلاً حتى تزكو النفس ، وتبلغ السعادة التى تخصها .

(١) لها : له ه || لها : له ه .

(٢) منغمسة : مرتسمة هامش ع || للعلاقة : العلاقة ع .

(٣) عليها : عليه س .

(٤) وفيها : ففيه ع ؛ وفيه ه || كانت قريبة : كان قريب ع ، س ، ه || حالها وهى : حاله وهو ع ، س .

(٥) لا يغفلها : تزول غفلته س ؛ لا يغفله ه || كمالها : كماله ع ، س ، ه || منه : ساقطة من ب || معها يصدها : معه يصده ع ، س ، ه .

(٦) سعادتها : سعادته ع ، س ، ه .

(٧) إن : ساقطة من ه || مضاده : مضاد ع || لجوهرها : لجوهره س ، ه || لها : له س ، ه || يلهيها : يلهيه س ، ه .

(٨) فارقته : فارقت النفس البدن س || العظيمة : ساقطة من ب .

(١١) العقوبة : العقوبات ب || غير : الغير ب || وتنمحى : وتمحى ه || قليلا : ساقطة من ب .

وأمّا النفوس البُلْه التى لم تكتسب الشوق ، فإنها إذا فارقت البدن وكانت غير مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، صارت إلى سعةٍ من رحمة الله تعالى ونوعٍ من الراحة ، وإنْ كانت مكتسبةً للهيئة البدنية الردية ، وليس عندها هيئةٌ غير ذلك ، ولا معنى يضاده وينافيه ، فتكون لا محالة ممنوعةً بشوقها إلى مقتضاها ، فتتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن ، من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأنَّ آلةَ الذكر قد بطلت ، وخُلُق التعلق بالبدن قد بقى .

ويُشْبه أيضاً أنْ يكون ما قاله بعضُ العلماء حقاً ، وهو أنَّ هذه النفوس إنْ كانت زكيةً وفارقت البدن ، وقد رسخ فيها نحوٌ من الاعتقادات فى العاقبة التى تكون لأمثالهم ، على مثل ما يمكن أن يخاطب به العامة ويُصَوِّرُ فى أنفسهم ذلك ، فإنهم إذا فارقوا البدن ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التى هى فوقهم ، لا كمال فيسعدوا تلك السعادة ، ولا شوق كمال فيشقوا تلك الشقاوة ، بل كل هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الأسفل ، منجذبة إلى الأجسام ؛ ولا منع فى المواد السماوية عن أنْ تكون موضوعةً لفعل نفسٍ فيها ،

(١) البدن : الأبدان ه .
(٢ ، ٣) صارت . . . الردية : ساقطة من ب (٣) للهيئة : للهيئات ه || وليس : فليس ع || معنى : + ما ع .
(٤) ممنوة بشوقها : شوقها ب ، ع || بفقد : بفقدان ب ، ه .
(٥) الذكر : ذلك س ، ه .
(٧) أيضاً : ساقطة من س || النفوس : الأنفس ع ، س ، ه
(٨) الاعتقادات : الاعتقاد ع .
(٩) فإنهم إذا : فإذا ب ، ع .
(١١) كل : كانت ع ، ه .
(١٢) ولا : فلا س || منع : ممتنع ب ، ه .

لأنها تتخيل جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية ، وتكون الآلة التى يمكنها بها التخيل شيئاً من الأجرام السماوية ، فتشاهد جميع ما قيل لها فى الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية . وتكون الأنفس الردية أيضاً تشاهد العقاب المصور لهم فى الدنيا؛ وأنَّ الصور الخيالية ليست تضعف عن الحسية ، بل تزداد عليها تأثيراً أو صفاء ، كما يوجد فى المنام ، وذلك أشد استقراراً من الموجودة فى المنام بحسب قلة العوائق ، وتجرد النفس ، وصفاء القابل .

وليست الصور التى ترى فى المنام ، والتى تحس فى اليقظة إلا المرتسمة فى البنطاسيا والمظنون ، إلا أنَّ أحدهما يبتدئ من باطن وينحدر إليه ، والثانى يبتدئ من خارج ويرتفع إليه ، فإذا ارتسم فى البنطاسيا تمَّ هناك الإدراك المشاهد . وإنما يلذ ويؤلم بالحقيقة هذا المرتسم فى النفس ، لا الموجود فى خارج . فإذا ارتسم فى النفس فعل فعله ، وإن لم يكن سبب من خارج ، فإنَّ السبب الذاتى هو هذا المرتسم ، والخارج سبب بالعرض .

فهذه هى السعادة والشقاوة الخسيستان واللتان بالقياس إلى الأنفس الخسيسة .

وأما الأنفس القدسية فإنها تتبرأ عن مثل هذه الأحوال ، وتتصل بكمالها بالذات

(١،٢) يمكنها بها التخيل شيئاً : يمكن بها تخيل شىء س .
(٣) الأنفس : للأنفس ب ، ه || أيضاً : ساقطة من ب ، س || تشاهد : ساقطة من ب ، ع ، ه .
(٤) أو صفاء : أو ضعفاً س ؛ وصفاء ه
(٥) المنام : النوم س || وذلك : فربما كان المحلوم به أعظم شأناً فى بابه من المحسوس على أن الأخرى ده
(٧) والتى تحس : وتحس ه || البنطاسيا : بنطاسيا ع ، س ؛ النفس ده .
(٨) والمظنون : ساقطة من ده .
(١٢) الخسيستان : الخسيتات ع || الخسيسة : نخسيسة ع .
(١٣) الأنفس : ساقطة من ه || القدسية : المقدسة ع ، س ، ده ، ه || بكمالها : بكمالاتها ع د .

وتنغمس فى اللذة العقلية الحقيقية ، وتتبرأ عن النظر إلى ما خلفها ، و إلى الملكة التى كانت لها كل التبرى . ولو كان بقى فيها أثر من ذلك اعتقادى أو خلقى ، تأذت به ، وتخلفت لأجله عن درجة عليين إلى أن تنفسخ . والله أعلم .

---

(١) العقلية : ساقطة من ب ، س ، ه || الملكة : + وإلى الملكة ب ؛ الملكة ه .

(٢) لها : بها ع || أثر : أمر ب || وتخلفت : وخلعت ب ؛ وتخلت ع .

(٣) عليين : العليين ب || والله أعلم : ساقطة من ب ، ع ، ه .

الفصل السادس عشر

فى محل هذه الرسالة

إنى تركت فى هذه المقالة الكلام فى الأمور الظاهرة من علم النفس ، إلا ما لم يكن منه بدٌّ ، وكشفت الغطاء ، ورفعت الحجاب ، ودللت على الأسرار المخزونة فى بطون الكتب ، المضنون بالتصريح بها ، تقرباً إلى إخوانى ، وثقةً بأن الزمان قد خلا من الوارثين لهذه الأسرار تلقيناً ، وعن المقتدرين على الإحاطة بها استنباطاً ، ويأساً عن أن يكون للراغب فى تخليد العلم وإيرائه من بعده وجهٌ وحيلةٌ إلا تدوينه وإيداعه الكتب تسطيراً ، دون الاعتماد على رغبة متعلم فى تحققه على وجهه ، وحفظه وإيرائه من بعده ، ودون الاعتماد على هم أهل العصر ومَنْ يكون بَعْدهم مثلهم فى التفتيش عن مواضع الرمز وتأويله إنْ رُمِز به ، وبَسْطِ القول الوجيز منه إن اقتصر عليه . ثم حرمت على جميع مَنْ يقرؤه من الإخوان

---

(٢) فى محل هذه الرسالة : ساقط من س .

(٣) فى الأمور الظاهرة : الظاهر ب .

(٤) ودللت : ودللنا ب || بطون : زوايا ه .

(٥) تقرباً : قريباً ع ؛ ساقطة من س || وثقة : ويقيناً ع ، ه || من : عن ع .

(٦) تلقيناً : تلقياً ع || وعن : وعلى ب || ويأساً : قياسياً لا ع .

(٧) للراغب : الراغب ع || بعده : + ولا يكون له ع || وجه وحيلة : وجه حيلة ه || الكتب : الكتاب ب ، ع ، ه || تسطيراً : مسطراً ع ، س .

(٨) الاعتماد : الاعتقاد س .

(٩) مواضع : غوامض واضع ه (٩ ، ١٠) رمز به : رمزته ع (١٠) إن : إذا ع || عليه : عنه ع ، س .

أنْ يبذله لنفسٍ شريرة أو معاندة ، أو يطلعها عليه ، أو يضعه فى غير موضعه . وجعلتُ اللهَ تعالى خصمه عنى ـ وهو المسئول التوفيق أن يتم به الحق ـ أنْ يهدى إليه ، وله الحمد على كل حال ، وصلواته على المصطفين من عباده ، وخصوصاً على صاحب شريعتنا محمد وآله المقتدين به . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تمت الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

---

(١) فى : ساقطة من ع .

(٣) وصلواته : وصلاة الله ﷺ (٣ ، ٥) وخصوصاً . . . وتوفيقه : تم الكتاب وحسبنا الله ونعم الوكيل ﷺ .

(٤) المقتدين به وهو حسبنا : الطيبين الطاهرين وحسبنا ع .

(٥) تمت . . . وتوفيقه : ساقطة من ع .

(٥) تمت . . . وتوفيقه : تمت كتاب النفس الكبير لابن سينا فى وقت ضحوة الكبرى فى سابع عشر من شهر ربيع الأول يوم الخميس لسنة خمس وعشرين ومائة على يد الفقير النحيف المعترف بالعجز والتقصير المحتاج إلى رحمة ربه الودود أحقر الورى أضعف الطالبين عبد الله مصطفى ، الحنفى مذهباً ، الماتريدى اعتقاداً ، القاهرى منزلا . وقد فرغت فى ديار الروم المعروفة الآن فى القسطنطينية المحمية صانها الله من البلية ، بدار السلطنة العثمانية من وقف فقير السلطنة العثمانية فيض الله افندى المقتول (؟) اللهم يا ذا الجلال والإكرام وبحرمة حبيبك المصطفى اغفر له وتجاوز عن سيئاته واجعل له . . . . . فى وسط غرف الجنان آمين يا مجيب السائلين وصلى الله على سيدنا وهادينا وتهدينا إلى سبيل الرشاد وشفيعنا فى يوم القيامة محمد الذى . . . . . فى فرقان مجيده بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » وعلى آله الكرام وأصحابه الأخيار لما قيل فى حقهم أصحاب كالنجوم ، بأيتهم اقتديتم اهتديتم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والمائة المجتهدين والعلماء العاملين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين . الله واحد لا شريك له فى الملك ، وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً س .